ألكسندر استراوتش

١٥ وصفًا للمحبة

تطبيقهم على القادة والمعلِّمين المسيحيِّين

١ كورنثوس ١٣

١٥
وصفًا للمحبة:

تطبيقهم على القادة والمعلِّمين المسيحيِّين

١ كورنثوس ١٣

ألكسندر استراوتش

١٥ وصفًا للمحبة: تطبيقهم على القادة والمعلِّمين المسيحيِّين

© ٢٠١٩ هيئة ائتلاف الإنجيل «The Gospel Coalition»

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة.

صدر هذا الكتاب باللغة الإنجليزيّة بعنوان

The 15 Descriptions of Love:

Applied to All Christian Leaders & Teachers

Copyright © 2018 by Alexander Strauch. All rights reserved

Published by published by Lewis and Roth Publishers, P.O. Box 469, Littleton, Colorado 80160.

اقتباسات النصوص الكتابيّة مأخوذة من ترجمة البستانيّ - ڤاندايك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

الفهرس

ارتباط المحبة بالقيادة..... ٥

١. خمسة ناقص واحد يساوي صفر..... ٩

٢. تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ..... ٢٣

٣. لَا تَحْسِدُ ولَا تَتَفَاخَرُ..... ٣٣

٤. لَا تَنْتَفِخُ، وَلَا تُقَبِّحُ..... ٤٣

٥. لَا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلَا تَحْتَدُّ..... ٥٥

٦. لَا تَظُنُّ السُّوءَ، وَلَا تَفْرَحُ بِالْإِثْمِ..... ٦٥

٧. تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ،
وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ..... ٧٩

٨. أعظم ما في العالم..... ٨٧

ارتباط المحبة بالقيادة

كُنْ قُدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ... فِي الْمَحَبَّةِ.

١ تيموثاوس ٤: ١٢

كُتبت العديد من المؤلفات الجيدة التي توضح خواص القيادة من الشجاعة، والقدرة على التدبير، والموهبة الجذابة، والإقناع، والمثابرة، والتخطيط الاستراتيجي، وضبط النفس، والحزم. لكن القليل من كُتب القيادة الكنسيَّة تتحدث عن علاقتها بالمحبة. يا لها من فاجعة مأساوية **لأن العهد الجديد جلي وواضح حول ارتباط المحبة الوثيق فيما يتعلق بموهبتي القيادة والتعليم.**

في الواقع، قد أوصى العهد الجديد بممارسة المواهب الروحية مُلتحفة المحبة. ومثلما يقول بولس، أي محاولة للقيادة أو للتعليم بدون محبة فقد صرت «نُحَاسًا يَطِنُّ أَوْ صَنْجًا يَرِنُّ» (١ كورنثوس ١٣: ١). فاكتساب جميع خواص القيادة المذكورة أعلاه دون المحبة، ينذر بإخفاق القائد المسيحي (١ كورنثوس ١٣: ١-٣).

علاوة على ذلك، يحدد القادة والمعلمون سمة الكنيسة الروحية. فهم يتحلون بالمقدرة على خلق مناخًا يتسم بالمحبة داخل الكنيسة المحلية. فإذا كانوا يحبون الله والناس، في الغالب سيسير تلاميذهم في إثرهم. وبالمثل، إذا كانوا يتسمون بالتمركز حول الذات،

وانتقاديين، ومتكبرين، وغضوبين، وبغيضين سيكتسب تلاميذهم هذه التصرفات عينها.

كما يوجد بالتأكيد داخل عائلة الكنيسة أعضاء يخدمون معًا وسويًا كأخوة وأخوات في المسيح لاتخاذ القرارات وإتمام المهام. فالكثير من العمل داخل الكنيسة المحلية (وبين الكنائس المحلية وبعضها) يتم في مجموعات تنظيمية مثل اجتماعات الشيوخ والشمامسة، واجتماعات المدبرين، واجتماعات مجلس الإدارة، واجتماعات اللجان المُختصة، وغيرها من اجتماعات الكنيسة.

كلما استمر عملنا سويًا، تعمقت معرفتنا بأخطاء الآخر وعيوبه الشخصية مما يحبط التعايش معًا. ففهم مبادئ المحبة في العهد الجديد سيعزز كثيرًا من قيادة مجموعات صحية واجتماعاتها والحياة الكنسية ككل. بدون محبة، تستحيل الحياة والعمل معًا في انسجام مسيحي.

أؤمن أن استيعاب ما يقوله الكتاب المقدس عن المحبة سيُحسن كثيرًا من مهارات وعلاقات قادة كنيستنا ومُعلميها، ويعزز تأثيرهم في الخدمة بقوة؛ مما سيقلل من النزاع والانقسام الذي بلا معنى، ويدفع بالكرازة، ويثمر كنائس صحية روحيًا. والأكثر أهمية، إنه سيُرضي الرب ويسره.

لذا، فإن هذا الكتاب مكتوب للقادة والمعلمين في أي منصب قيادي داخل الكنيسة المحلية. إذا كنت تقود أعضاء في كنيستك أو تعلمهم — معلم في مدارس الآحاد، أو خادم للشباب، أو قائد في خدمة للرجال أو للسيدات، أو قائد اجتماع درس الكتاب المقدس، أو إداري، أو قائد للموسيقي، أو شيخ، أو شماس، أو راعي، أو كارز، أو مُرسل — فلا غنى عن المحبة في حياتك وفي خدمتك.

وكـما بـرع مايـكل جريـن (Michael Green) في تذكيرنـا بقولـه «المحبـة هـي الصفـة الأشـد جذبًـا في العـالم، والكامنـة في قلـب المسـيحية».[١] لذلـك، يطلـب اللـه منـك ومنـي أن نقـود ونُعلـم بمحبـة المسـيح ونسـتمر في النمـو في محبتنـا لـه ولجميـع البـشر.

إن هذا الكُتيب مقتطف من كتاب
«مُرشد القائد المسيحي للقيادة بمحبة»
(*A Christian Leader's Guide to Leading With Love*)
صدرت هذه الطبعة المُقتضبة لتقديم الشرح المتعلق بنص
١ كورنثوس ١٣: ١-٧ للذين لا يرغبون في قراءة الكتاب بأكمله.

الدليل الدراسي متوفر في موقع Lewisandroth.com

[1] Michael Green, *Evangelism Through the Local Church* (Nashville, TN: Thomas Nelson, 1992), 97.

الفصل الأول

خمسة ناقص واحد يساوي صفر

وَأَيْضًا أُرِيكُمْ طَرِيقًا أَفْضَلَ.

١ كورنثوس ١٢: ٣١

روى ديوايت إل. مودي (Dwight L. Moody)، أحد أعظم مُعلمي القرن ١٩، عن الإدراك الذي غير حياته لعقيدة المحبة. بدأ عندما كان يعظ هنري مورهاوس (Henry Moorhouse)، الكارز البريطاني ذو السبعة والعشرين عامًا، في كنيسة مودي طيلة أسبوع. وذُهل الجميع لوعظ مورهاوس سبع عظات متتالية عن يوحنا ٣: ١٦. وليُثبت أن «هَكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ»، وعظ عن محبة الله من سفر التكوين وحتى سفر الرؤيا. وقد دون نجل مودي وصف أبيه لتأثير وعظ مورهاوس حين قال:

> على مدار ست ليال وعظ من مقطع واحد. وفي السابعة حين أتى وصعد على المنبر، شخصت جميع العيون إليه. وقال، «أحبائي الأعزاء، لقد قضيت النهار بأكمله باحثًا عن نص آخر، لكني لم أجد أروع من مقطع الليالي السابقة؛ لذا دعونا نرجع إلى الإصحاح الثالث من إنجيل يوحنا عند الآية السادسة عشر»، وألقى عظته السابعة من هذه الكلمات الرائعة «هَكَذَا أَحَبَّ

اللـهُ الْعَالَـمَ». أتذكـر خاتمـة هـذه العظـة حـين قـال: «أحبـائي، عـلى مـدار أسـبوع كامـل كنـت أحـاول إخباركـم بكـم يحبكـم اللـه، لكنـي لا أسـتطيع ذلـك بهـذه اللغـة الركيكـة واللسـان المُتلعثـم. فلـو اسـتطعت اسـتعارة سـلم يعقـوب لأصعـد إلى السـماء وأسـأل جبرائيـل الواقـف في محـضر اللـه القديـر، ليخـبرني كـم يحـب الآب العـالم، فـكل مـا سـيقوله لي: ‹لِأَنَّـهُ هَكَـذَا أَحَـبَّ اللـهُ الْعَالَـمَ حَتَّـى بَـذَلَ ابْنَـهُ الْوَحِيـدَ، لِـكَيْ لَا يَهْلِـكَ كُلُّ مَـنْ يُؤْمِـنُ بِـهِ، بَـلْ تَكُـونُ لَـهُ الْحَيَـاةُ الْأَبَدِيَّـةُ›».[٢]

اعـترف مـودي بأنـه لم يسـتطع حبـس دموعـه بسـبب عظـة مورهـاوس عـن محبـة اللـه بإرسـاله ابنـه وحيـده ليمـوت عـن الخطـاة، في قولـه:

لم أدرك حتـى ذلـك الوقـت أن اللـه يحبنـا إلى هـذه الدرجـة. بـدأ قلبـي يلـين؛ ولم أسـتطع حبـس انهـمار دموعـي. كانـت تشـبه الأخبار مـن بـلاد بعيـدة، فتوقفـت لأنصـت إليهـا. ومثـلي فعلـت الكنيسـة المزدحمـة بأكملهـا. أعـترف لـك أنـه ليـس هنـاك سـوى شيء واحـد يسـمو فـوق أي شيء آخـر في العـالم، وهـذا الـشيء هـو المحبـة.[٣]

ونتيجـة لتأثـير مورهـاوس، شرع مـودي في دراسـة عقيـدة المحبـة، مـما غـير حياتـه ووعظـه. قـال لاحقًـا:

تلقفـت كلمـة «محبـة» هـذه، ولم أعلـم كـم مـن أسـبوع قبعـت أدرس المقاطـع والنصـوص التـي ذكرتهـا، حتـى في النهايـة لم أسـتطع التوقـف عـن محبـة النـاس! كنـت أتغـذى عـلى المحبـة حتـى أننـي كنـت شـديد الحـرص عـلى مجاوبـة كل مـن أتعامـل معـه خـيرًا.

[2] William R. Moody, *The Life of Dwight L. Moody* (Chicago: Revell, 1900), 140. See also Dwight Lyman Moody, *New Sermons, Addresses and Prayers* (Chicago: Goodspeed, 1877), 178.

[3] Moody, *The Life of Dwight L. Moody*, 139.

> قد امتلأت بها، بل فاضت مني. حين تتمعن في موضوع المحبة داخل الكتاب المقدس، ستمتلئ منها وبها، وكل ما عليك فعله هو أن تفتح شفتيك، وستفيض من داخلك أنهار محبة الله على سامعيك. ما من ثمر في محاولة القيام بعمل الكنيسة دون محبة. سواء كنت طبيبًا أو مُحاميًا، قد تقوم بعملك دون محبة، لكن عمل الله يستحيل إتمامه دونها.[٤]

صدق مودي في واحدة من أقوى مقولاته الكتابية حين قال «عمل الله يستحيل إتمامه دون المحبة». هذه هي رسالة إصحاح المحبة الشهير في الكتاب المقدس، الإصحاح الثالث عشر من رسالة كورنثوس الأولى.

الطريق الأفضل

باتفاق عام وشامل، يعد بولس الرسول في ريادة أعظم المُرسلين والأساتذة والمُعلمين والكارزين وأبطال الإيمان. مع ذلك، كان مدركًا أن كل نبوغه وتعدد مواهبه وتكرسه الباذل لا شيء إذا لم يكونوا مغمورين بمحبة كاملة. **ما من كاتب في العهد الجديد تناول المحبة أو قدم الكثير من أمثلة قيادية عملية أكثر من بولس. فمن خلال خدمة بولس طوال حياته ورسائله، قدم الله لكنيسته ولكل قادتها ولمُعلميها نموذجًا للقيادة المُحِبَة.** يعد ١ كورنثوس ١٣ أكثر إصحاحات الكتاب المقدس وضوحًا وتشديدًا على أن المحبة لا غنى عنها وأساسية في القيادة والتعليم.

كتب بولس هذا المقطع ردًا على الانشقاق الحادث داخل كنيسة كورنثوس حول المواهب الروحية. ولتصويب وجهات النظر الخاطئة

---

[4] Richard Ellsworth Day, *Bush Aglow: The Life Story of Dwight Lyman Moody, Commoner of Northfield* (Philadelphia: The Judson Press, 1936), 146; see also D. L. Moody, *Pleasure and Profit in Bible Study* (Chicago: The Bible Institute Colportage Association, 1895), 87.

للكنيسة حول المواهب الروحية وسلوكها ذاتي التدمير كَكُل، وعد بولس أهل كورنثوس أن يُريهم «طَرِيقًا أَفْضَلَ» (١ كورنثوس ١٢: ٣١). أرادهم أن يدركوا وجود بُعدًا آخرًا أكثر أهمية من المواهب فوق الطبيعية، بُعدًا أسمى من أروع المواهب والممارسات، بُعدًا إذا غاب ستغدو جميع المواهب عديمة القيمة. هذا البُعد هو المحبة.

المحبة التي يتناولها بولس في المقام الأول هي محبة الأخوة المؤمنين. تلك المحبة التي عرفها الرب يسوع المسيح حين أعطى وصية جديدة لجميع تلاميذه أن يحبوا بعضهم بعضًا «كما» أحبهم هو (يوحنا ١٣: ٣٤-٣٥).

تقدم هذه المحبة نفسها في بذل ذاتي صريح من أجل خير الآخرين. وقد مَثَّل الرب يسوع هذا النموذج الجديد للمحبة باتضاعه في غسل أرجل التلاميذ (يوحنا ١٣: ٤-١٧) وببذل حياته على الصليب بلا أنانية من أجل الآخرين. وأوضح يوحنا هذا في قوله «بِهَذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لِأَجْلِ الْإِخْوَةِ» (١ يوحنا ٣: ١٦).

لقتل أي شك في أن المحبة هي «الطريق الأفضل» وقلقلة اعتقاد أهل كورنثوس الخاطئ في المواهب الروحية، استخدم بولس مهاراته الخطابية ليقول في بلاغة وقوة إن المحبة هي «الطريق الأفضل». فكتب قائلًا:

> وَأَيْضًا أُرِيكُمْ طَرِيقًا أَفْضَلَ. إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلَائِكَةِ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَقَدْ صِرْتُ نُحَاسًا يَطِنُّ أَوْ صَنْجًا يَرِنُّ. وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ، وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الْأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ، وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الْإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ، وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَسْتُ

شَيْئًا. وَإِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي، وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ، وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَا أَنْتَفِعُ شَيْئًا. (١ كورنثوس ١٢: ٣١-١٣:٣)

لنتمعن أكثر في المقطع لنفهم بوضوح ما يقوله.

بدون محبة
الألسنة السماوية تغدو مزعجة

تَمَثَّلَ الغرض من المواهب الروحية في بناء الجسد ووحدته. لكن حماس أهل كورنثوس بموهبة التحدث بالألسنة تسبب في ظهور الكبرياء داخل جسد الكنيسة وإخلاله. استخدم أهل كورنثوس بتفكيرهم المستقل مواهبهم لإرضاء ذاتهم، مما تسبب في انقسام داخل الجسد.

لتصحيح هذا التشويه، جذب بولس انتباههم بتصوير نفسه، افتراضيًا، بأنه «المتحدث بالألسنة الأقوى موهبة في العالم»[5] القادر على التحدث ببلاغة «بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلَائِكَةِ». تلك الموهبة التي أدهشت أهل كورنثوس. لكن بولس يصرح بأنه حتى لو اجتاز اختبارًا عظيمًا مثل هذا نتاج موهبة سماوية، لصار «نُحَاسًا يَطِنُّ أَوْ صَنْجًا يَرِنُّ» — أي ضوضاء مزعجة عالية فارغة — إذا لم يسلك بمحبة، كما شرح في الآيات ٤-٧. كما لتشوَّه جمال كلامه السماوية هذا بدون نعمة المحبة.

لا يقول بولس أن كلامه لكان سيتحول إلى مجرد ضوضاء صاخبة، بل أنه هو ذاته سيكون مجرد صوت أجوف مُزعج. لن يكون ما ينبغي أن يكونه؛ لغدت حياته المسيحية ناقصة، ولا يحيا حسب «الطريق الأفضل». والسبب في أن يكون بولس ضوضاء جوفاء هو أنه سيكون متحدثًا بالألسنة لكن دون محبة. سيستخدم موهبة التحدث

[5] Gregory J. Lockwood, *1 Corinthians, Concordia Commentary* (St. Louis: Concordia, 2000), 458.

بالألسنة ليمجد ذاته ويخدمها، لا لخدمة الكنيسة وبنائها، الذي هو هدف المحبة (١ كورنثوس ٨: ١).

عندما أُعَلِّم من هذا المقطع، كثيرًا ما أستخدم توضيح بصري. أسحب من خلف المنبر وعاءً فولاذيًا ومطرقة، وأشرع في طرق الوعاء وأنا أتحدث عن المواهب الروحية والاحتياج للمحبة. في البداية، يضحكون. يظنون إنه مجرد توضيح مُدهش. لكنني أستمر في الطرق وأستمر في التحدث عن المواهب الروحية. لكن سريعًا ما يتوقفون عن الضحك أو الابتسام. لم يعودوا يتحملون الكثير من الطرق؛ فقد تضايقوا وازداد غضبهم بمرور الوقت، لكنني أستمر في الطرق. وحين يبدو أنهم لن يستطيعوا تحمل المزيد، أتوقف وأسألهم: «هل أنتم منزعجين؟ هل تستمعون بذلك؟ هل يسركم ذلك؟ هل ترونه بنَّاءً؟ هل تودونني أستمر في طرق الوعاء للتذكير بالرسالة؟»

لا يرغب أي منهم استمراري في طرق الوعاء. فهنا أذكرهم أن هذا ما يكونون عليه نحو الآخرين والله حين يستخدمون مواهبهم بدون المحبة. فهم لا شيء سوى «نُحَاسًا يَطِنُّ أَوْ صَنْجًا يَرِنُّ».

بدون محبة المعرفة لا تنفع

بعد ذلك، يفترض بولس أنه يملك موهبة النبوة بكل ملئها حيث بها يعلم «كل» الأسرار و«كل» المعرفة. حينها سيمتلك جميع الأجوبة اللاهوتية عن جميع سرائر الله التي يتوق الجميع لفهمها. لكان سيصبح بمثابة موسوعة معرفية ناطقة متحركة.

يحب البعض إظهار تفوقهم المعرفي واللاهوتي. يفتخرون بقدرتهم على التعلم والتحدث. كان هذا الافتخار مشكلة خطيرة في كنيسة

كورنثوس. اتسم البعض بالغطرسة جراء المعرفة وانتفخوا بأهمية أنفسهم. رغبوا في الاعتراف بأقوالهم النبوية وحكمتهم الفائقة، ونظروا باحتقار لمن هم أقل معرفة وموهبة. ونتيجة الاستخدام المتغطرس للمعرفة، آذوا جسد الكنيسة (١ كورنثوس ٨).

معرفة دون محبة تنفخ الأنا وتخدع العقل. تقود لتصلف فكري، ولسلوك مُستهزئ وساخر من وجهات نظر الآخرين، ولروح ازدراء ممن هم أقل معرفة، ولأسلوب احتقار في التعامل مع المُخالف. أعرف راعيًا يمتلك معرفة استثنائية بالكتاب المقدس، لكنه يجرح كثيرين بدقته العقائدية، وفرق كنيسته كثيرًا حتى لم يعد بها أحد سواه. امتلك رأسًا مُمتلئًا لكن قلبًا فارغًا. كان لاهوته ناصعًا كالثلج لكن بأضعاف برودته. هذا هو سبيل مَن يملك المعرفة الخالية من المحبة.

لذا يقول بولس حتى لو كان يملك كل المعرفة، بدون المحبة فهو «لا شيء» — فارغ روحيًا. ويشدد على أن المتنبئ أو الأستاذ أو المُعلم بدون محبة لا يستحقون تلمذة شعب الله. والتاريخ يؤكد ذلك، كما يقول جون شورت (John Short) مُلاحظًا:

> الإيمان والنبوة الخاليان من المحبة يشرحان سبب مأساوية بعض أبشع صفحات التاريخ المسيحي عبر العصور. لقد أعدما من دُعيوا هراطقة حرقًا؛ وسفّها من البحث الصادق عن الحق؛ وكثيرًا ما أثارا النزاعات والتكدير؛ وكثيرًا ما نادا بنكران الأخوية المسيحية تجاه الأخوة المؤمنين.[٦]

وعلى المنوال ذاته، يقول جورج سويتنج (George Sweeting)، الرئيس السابق لمعهد مودي للكتاب المقدس، هذه الملاحظة: «لقد أُصبت

[6] John Short, "The First Epistle to the Corinthians," in *The Interpreter's Bible,* ed. Arthur C. Buttrick (New York: Abingdon-Cokesbury, 1953), 10:170.

بخيبة أمل حادة لإيجادي من يهتمون بالسرائر الخفية أكثر مِمَّن يهتمون بالمحتاجين... يهتم مسيحيون كثيرون بالحقائق الخفية، لكن غير مكترثين بمحبة حادي الطباع».[٧]

بالمحبة لا سواها تُستخدم المعرفة حسب «الطريق الأفضل» لحماية الكنيسة وبناءها (أفسس ٤: ١١-١٦).

بدون محبة
إيمان مواجهة المخاطر لا قيمة له

الإيمان ثالث موهبة روحية يقدمها بولس (١ كورنثوس ١٢: ٩). فهو يتخيل أنه يمتلك أقوى إيمان يمكن تصوره الذي «ينقل الجبال». ومثل إبراهيم، يؤمن بالله على فعل المستحيل ويثق فيه فعلًا على صنع العجائب. وأنه بيت صلاة متقدة، ومواجه للأخطار الروحية، وجورج مولر[٨] آخر يحظى بإعجاب كثيرين ويسعى خلفه الجميع. وأنه في شجاعة داود مسرعًا إلى المعركة لقتال جُليات الفلسطيني العملاق (١ صموئيل ١٧: ٣٢). لكن حتى إذا كانت هذه الموهبة الروحية القوية دون محبة، تصير وسيلة لمجد الذات لا لخدمة الآخرين.

قد يدعي بعض مُصطنعي «المعجزات» على التلفاز فعل المستحيل بالإيمان، لكنهم يتحدثون عن المال والنجاح وأنفسهم أكثر من التحدث بشأن مِمَن يفترض أنهم يخدمونهم. مثل الفريسيين المُرائين الذين يسعون «لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ» (متى ٦: ٥). يحبون مديح الناس ويرغبون في إعلائهم كقامات روحية تقوم بعظائم من أجل الله. يستغلون مواهبهم المُذهلة لإعلاء ذواتهم، لا جسد المسيح.

[7] George Sweeting, *Love Is the Greatest* (Chicago: Moody Press, 1974), 40.

[٨] جورج مولر مؤسس ومدير ملجأ آشلي داون، في بريساول بإنجلترا؛ رعى هذا الملجأ ١٢٢٦٨٣ يتيمًا. كُتبت العديد من السير الذاتية عن حياة إيمان مولر وصلاته.

أتذكر واعظًا على الراديو كان يتحدث كثيرًا عن الأمور العجيبة التي كان يصنعها الله من خلال بثّه وكيف وفر الله معجزيًا الدعم المالي دون تضرعه لطلبه (مما قد يكون بمثابة أسلوب ماكر لتسول المال). لكن مِمَن عرفوه شخصيًا وعملوا معه رأوا نقيض ذلك. رأوا إنسانًا مهوسًا بالمال والمظهر الخارجي. رأوا موهبة إيمانه تُستغل لضمان أمانه المالي. رأوا إنسانًا لم يهتم بتاتًا بالآخرين، بل بنفسه كثيرًا.

فلا عجب من إعلان بولس الصارخ أن مثل هذه الموهبة القوية دون محبة تُعد «لا شيء». فبولس يعني ما يقوله. عَلِمَ أنه بدون محبة سيكون عقيمًا روحيًا وليس فيه أي قوة روحية.

بدون محبة، يقف القائد المسيحي على المسار الخاطئ للحياة المسيحية. لكن حين يتزاوج الإيمان بالمحبة، يُبنى جسد المسيح ويتقدم إلى الأمام على الطريق الملكي، «طريق المحبة الأفضل».

بدون محبة
إعطاء كل مالك للفقراء لا طائل منه

بعد ذلك، يتناول بولس فكرة إعطائه جميع ممتلكاته الأرضية — منزله وممتلكاته وأثاثه ومدخراته وأثمن ما يعتز به — لإطعام الفقير. يتخلى عن كل شيء ويحُط ذاته إلى فقر مدقع. بكل تأكيد هذا أسمى معاني إنكار الذات. ألن يُدعى هذا العطاء، حسب التعريف، محبة؟ ليس بالضرورة. يوضح بولس أن أعظم الأعمال الاستثنائية والمُضحية قد تُبذل دون محبة.

بذل الذات قد يُمارس لمنفعة ذاتية كما في حالة حنانيا وسفيرة في سفر أعمال الرسل. باع هذان الزوجان أملاكهما وأعطيا ثمنها للرسل ليوزعوه على الفقراء (أعمال الرسل ٥: ١-١١). لكنهما أعطيا بلا محبة.

لم يكونا مهتمين حقًا باحتياجات الفقراء، بل بأنفسهما. لم يحبا الله أو قريبهما. مثل الفريسيين الذين يسيرون والأبواق أمامهم الذين أدانهم الرب يسوع في الموعظة على الجبل (متى ٦: ١-٥)، أعطيا حنانيا وسفيرة بغرض رفع منزلتهما الشخصية في عيون الكنيسة. لقد أعطيا لينالا مديح الناس. محبتهما كانت محبة مُرائية (رومية ١٢: ٩). أعطيا للفقير، لكن بدون القوة الدافعة الداخلية الحقيقية للمحبة، لذا لم يطولا شيئًا من عطائهما. على الرغم من إعطائهما مالًا للفقراء، إلا أنهما كانا مفلسين روحيًا، والله رفض عطيتهما.

لذلك يقول بولس، إنه إذا أعطى كل ما يملك للفقراء لكن دون محبة، لكان هذا العطاء مُجدبًا وبلا فائدة ولا طائل منه وبلا قيمة أبدية. حتى بعد هذا البَذل سيكون مفلسًا روحيًا. لن يكون خادمًا متضعًا للآخرين، بل خادمًا لذاته.

في المقابل، حين يتقدم المرء بالمحبة ليلبي احتياجات الفقراء، فعطائه كل ما يمتلكه يستفيد منه الجميع. هذه هي المحبة التي دفعت الرب يسوع للتخلي عن مجد السماء ويصير فقيرًا من أجلنا. لِذَلِكَ «رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ» (فيلبي ٢: ٩). لقد أعطى الرب يسوع حسب «الطريق الأفضل».

بدون محبة
أسمى معاني بذل الحياة عبثية

وأخيرًا، يصور بولس نفسه كأقوى أبطال الإيمان. بأسمى معاني بذل الذات، يسلم جسده ليحترق متألمًا شهيدًا من أجل المسيح. البذل الذي بكل تأكيد سيُلهم مؤمنين آخرين بالإخلاص وبتكريس وتفاني أصدق وبالشجاعة. وسيقدم شهادة قوية على الإنجيل إلى غير المؤمنين.

لكـن بولـس يحذرنـا مـن أن حتـى الألم والاستشـهاد مـن أجـل المسـيح قـد يكونـا مدفوعـين بأسـباب خاطئـة.

يتفاخـر البعـض بـالألم والمعانـاة مـن أجـل الإيمـان. وآخريـن يتمنـون المـوت مـن أجـل تذكارهـم كأبطـال للإيمـان. في سـنوات المسـيحية الأولى، أحيانًـا مـا كان الاستشـهاد إحـدى وسـائل اكتسـاب الشـهرة ذائعـة الصيـت. وقـد علـق أحـد المؤرخـين قائـلًا «سريعًـا مـا تجـلى لجميـع المسـيحيين أن الشـهرة والكرامـة الفائقتـين مرتبطتـان بالاستشـهاد».[9] فقـد أُغـدق عـلى بعـض الشـهداء، مثـل إغناطيـوس، بوابـل مـن المديـح قُبيـل استشـهادهم. لا أقـول إن إغناطيـوس سـعى للاستشـهاد مـن أجـل مجـد شـخصي، بـل صـور للبعـض غوايـة السـعي للخلـود داخـل سـجلات تاريـخ الكنيسـة كشـهيد مـن أجـل المسـيح. كـما قيـل عـن بوليكاربـوس، الـذي أُحـرق حيًـا، أن عظامـه «أثمـن مـن الأحجـار الكريمـة وأنقـى مـن الذهـب المُصفـى» وأصبـح قـبره موضعًـا مقدسًـا يُحتَشَـد إليـه.[10] مـع إدراكـه لاحتماليـة إنشـاد مثـل هـذا المديـح، يـرى بولـس إنـه مـن الـضروري قـول إن بـذل المـرء لحياتـه دون محبـة، يُعـد بـذلًا عبثيًـا ومظهـرًا دينيًـا فارغًـا وفعـلًا أجوفًـا.

مـع ذلـك، حـين يكـون البـذل مدفوعًـا بسـلامة الآخريـن وخيرهـم ومجـد اللـه، يغـدو الاستشـهاد أسـمى معـاني المحبـة الباذلـة. يوجـز جوناثان إدواردز رؤيـة اللـه للمحبـة وبـذل الـذات في كتابـه الإحسـان وثمـاره (Charity and Its Fruits) عـلى النحـو التـالي:

> يُـسر [اللـه] بالأمـور البسـيطة حـين تثمـر عـن محبـة لـه صادقـة. كأس المـاء البـارد المُقـدم لتلميـذ بمحبـة صادقـة، أثمـن في عـين اللـه مـن أن يُطعـم أحدهـم كل مـا يملـك للفقـراء دون محبـة أو التخـلي

[9] Rodney Stark, *The Rise of Christianity* (San Francisco: HarperCollins, 1996), 182.

[10] Martyrdom of S. Polycarp, 18.

عن ثروة مملكة ما دون محبة أو من يُسلم جسده ليحترق دون محبة.[١١]

لا تُحتَسب الشهادة «طريقًا أفضل» إلا حين تكون نتاج محبة لله وللآخرين.

الحسابات الإلهية

تخيل للحظة ما قد خطر في عقل أهل كنيسة كورنثوس حين سمعوا للمرة الأولى كلمات بولس وهي تُقرأ علانية في اجتماع الكنيسة. من المحتمل إنهم لم يصدقوا آذانهم! ناقضت رسالة بولس أسلوب تفكيرهم وسلوكهم تمامًا. محبتهم كانت ناقصة ولم يدركوا ذلك! وانخدعوا بزهو معرفتهم ومواهبهم العجائبية.

يصف دي. إي. كارسون، مُفسر الكتاب المقدس وأستاذ العهد الجديد بكلية ترينتي الإنجيلية للاهوت، منطق بولس في هذا المقطع بعبارة «الحسابات الإلهية». فوفق الحسابات الإلهية «٥-١=٠».[١٢] أو كما يُعلق جورج سويتنج «مواهب ينقصها المحبة لا تساوي شيئًا».[١٣]

يقدم المؤلف جيري بريدجز توضيحًا دقيقًا للحسابات الإلهية، طالبًا من قرائه القيام بالتالي:

دَوِّن، سواء في مخيلتك أو على ورقة، صفًا من الأصفار. استمر في كتابة الأصفار حتى نهاية السطر. ماذا أضافوا؟ بالضبط لا

---

[11] Jonathan Edwards, *Charity and Its Fruits* (1852; reprint ed., Edinburgh: Banner of Truth, 1978), 61– 62.

[12] D. A. Carson, *Showing the Spirit: A Theological Exposition of 1 Corinthians* 12–14 (Grand Rapids: Baker, 1987), 60.

[13] Sweeting, *Love Is the Greatest,* 117.

شيء. حتى لو ستدون آلاف الأصفار، سيظلون لا شيء. لكن ضع رقمًا إيجابيًا خلفهم، في لحظتها سيكتسبون قيمة. هذه هي مواهبنا وإيماننا وغيرتنا. هم الأصفار على الورقة. بدون المحبة، لا يساوون شيئًا. لكن بالمحبة أمامهم يصير لهم قيمة فورًا. ومثلما يعطي الرقم ٢ قيمة أكبر لصف الأصفار من الرقم ١، هكذا حين تزداد محبتنا تعطي قيمة أكبر لمواهبنا.[١٤]

بدون محبة، مواهبنا الاستثنائية ونجاحاتنا السامية لا تُثمر للكنيسة شيئًا وجدباء أمام الله. وبنفس أسلوب تفكير بولس، ما من شيء له قيمة روحية إلا إذا انبثق من المحبة.

[14] Jerry Bridges, *Growing Your Faith* (Colorado Springs: NavPress, 2004), 164–65.

إعادة صياغة عصرية

يقول بولس، مصورًا نفسه كأمهر معلم أو قائد لم يأت قبله ولم يظهر بعده:

إذا كنت أعظم خطيب موهبة في الوعظ،
وتحركت الملايين بخطاباتي،
لكن دون محبة، سأكون ثرثارًا مزعجًا خاويًا
أمام الله والناس.

إذا كنت أتسم بأعظم شخصية جاذبة،
وينجذب الجميع نحوي كما للمغناطيس، لكن
دون محبة المسيح، سأكون زائفًا عديم الفائدة.

إذا كنت أعظم قائد يخطط للمستقبل رأته الكنيسة،
لكن دون محبة، سأكون تائهًا وهالكًا.

إذا كنت أعلى مؤلف في اللاهوت ونمو الكنيسة مبيعًا،
لكن دون محبة، سأكون فاشلًا أحمقًا.

إذا بذلت جميع ساعات يومي في تلمذة
قادة المستقبل، لكن دون محبة،
سأكون مُرشدًا ونموذجًا كاذبًا.

الفصل الثاني

تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ

الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ.
١ كورنثوس ١٣: ٤

تخيل أكثر من أربعمائة مسيحي من ستين دولة ومن طوائف مختلفة يعيشون معًا لأربعة وعشرين ساعة في اليوم. تخيل إنهم يعملون معًا في مساحات لصيقة ضيقة، معظمهم عمل لعامين وبعضهم لمدة أطول. تخيل أنهم متطوعون دون أجر! هذه هي الحياة على متن سفينة «رجاء الكلمة» (Logos Hope).

على مدار خمسين عامًا أبحرت سُفن هيئة Operation Mobilization، من ضمنها سفينة «رجاء الكلمة»، حول العالم وتوقفت في موانٍ أكثر من مائة وخمسين دولة. يعملون كمعرض كتب ومركز مؤتمرات مسيحية. وقد حملت السُفن على متنها أكثر من سبعة وأربعين مليون شخص. كانت هذه السُفن نتاج رؤية جورج فيروير، مؤسس هيئة Operation Mobilization (الشهيرة بأو إم OM). كانت في طليعة منظمات الإرسالية قصيرة المُدة، ودربت آلاف المتطوعين على الإرساليات.

جميع من يتطوع عليها بشر عاديين، يحملون الضعفات والعيوب

الشخصية ذاتها مثل أي إنسان آخر، ويمرون بالصعوبات ذاتها التي يوجهها مَن على البَر. يكمن الاختلاف الوحيد في عدم وجود مهرب من الصراع على السفينة. كيف يتعايشون ويعملون معًا تحت هذه الظروف القاسية دون تدمير بعضهم للآخر؟ يكمن الجواب في المحبة.

منذ بداية هيئة Operation Mobilization، وعظ جورج فيروير بأن بدون «ثورة محبة»[١٥] ستضحى رؤية السُفن والآلاف من فرق مؤلفات قصيرة المُدة حلمًا مستحيلًا. فطبيعة المحبة الضرورية من أجل العمل معًا على هذه السُفن ليست محبة شاعرية رخوة. بل محبة غيرية باذلة مثل محبة الجُلجثة. محبة مثل تلك المشروحة في ١ كورنثوس ١٣: ٤-٧ مَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ، وَلَا تَحْسِدُ، وَلَا تَتَفَاخَرُ، وَلَا تَنْتَفِخُ، وَلَا تُقَبِّحُ، وَلَا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلَا تَحْتَدُّ، وَلَا تَظُنُّ السُّوءَ، وَلَا تَفْرَحُ بِالْإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ، وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. أي محبة المسيح.

تعاليم وليس شعرًا

الإصحاح الثالث عشر من كورنثوس الأولى ليس خطابًا نظريًا عن المحبة أو ترنيمة منمقة تمجد مشاعر المحبة. فبولس لم يكن شاعرًا رومانسيًا، بل كان رسولًا للرب يسوع المسيح — مُرسلًا لكل العالم، وزارعًا للكنائس، وراعيًا، ومُعلمًا. فهذه الكلمات جزءًا محوريًا في تعليمه وتقويمه لكنيسة كورنثوس التي كانت منقسمة جراء سلوك يفتقر للمحبة.

ولمساعدة أهل كورنثوس على إدراك ما ينقصهم و«الطريق الأفضل»، سرد بولس خمس عشرة صفَة إيجابية وسلبية عن المحبة. في النص اليوناني، كما في العربي، جميع هذه الصفات أفعال تصف ما الذي

[15] George Verwer, *The Revolution of Love* (Waynesboro, GA: OM Lit., 1993).

تـوصي بـه المحبـة ومـا الـذي تنهـي عنـه.

المحبة
١. تَتَأَنَّى (= تصبر وتتحَمَّل)
٢. تَرْفُقُ

المحبة لا

٣. تَحْسِدُ	المحبة تفرح بنجاح الآخرين
٤. تَتَفَاخَرُ	المحبة تشجع الآخرين وتُثني عليهم
٥. تَنْتَفِخُ	المحبة متضعة ووديعة
٦. تُقَبِّحُ	المحبة تسمو باللباقة
٧. تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا	المحبة تبذل الذات
٨. تَحْتَدُّ	المحبة مُسالمة وبطيئة الغضب
٩. تَظُنُّ السُّوَءَ	المحبة تغفر
١٠. تَفْرَحُ بِالْإِثْمِ	١١. المحبة تَفْرَحُ بِالْحَقِّ

المحبة
١٢. تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ
١٣. تُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ
١٤. تَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ
١٥. تَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

تصـف هـذه الصفـات الخمـس عـشر ببراعـة شـخصية الـرب يسـوع المسـيح وسـلوكه؛ الـذي لا بـد أن نتمثـل بـه في محبتنـا وقيادتنـا (١ يوحنـا ٢: ٦). بالمسـيح الحـي فينـا والعامـل داخلنـا بالـروح القـدس، ينبغـي أن تنبع السـلوكيات عينهـا بصـدق سـواء كنا شـيوخًا، أو رعـاةً، أو شمامسـة، أو خدامًا

للشبيبة، أو معلمين في مدارس الآحاد، أو قادة الموسيقى، أو مرسلين، أو كارزين، أو قادة اجتماعات درس الكتاب، أو إداريين للكنيسة.

في خدمتنا للرعية، ينبغي أن تحتل هذه الصفات الأولوية في أذهاننا. يعد الإصحاح الثالث عشر من رسالة كورنثوس الأولى أحد أهم إصحاحات الكتاب المقدس للحياة داخل الكنيسة المحلية وللقيادة المسيحية. إصحاح يحدد كيف ينبغي أن نسلك في الزواج، والصداقة، والكنيسة، والمجتمع. ويصف كيف يجب أن تبدو أخلاقنا **التي تمثل كل شيء في الخدمة المسيحية.**

لم يكتب بولس مجرد كلمات رائعة عن المحبة، لقد حياها، ورأى أهل كورنثوس حقيقتها في حياته.

الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى

إذا سألنا ربنا «كيف يبدو القائد المسيحي المُحب؟» لأجاب أولًا «أن يتحلى بالأناة والرفق». لذا بدأ بولس وأنهى صفاته عن المحبة بطبيعتي التأني والصبر بالمحبة (١ كورنثوس ١٣: ٤، ٧). في عالم فاسد، لا بد أن يتحلى القائد بالأناة والصبر.

يدل فعل تأنى في اليونانية على «الصبر» أو «التَّحَمُّل»، خاصة فيما يرتبط بالجروح الجسدية أو المعاناة من أخطاء الغير. لا تسعى روح المحبة المسيحية خلف الثأر أو تتسم بسرعة الغضب.

الله ذاته أعظم مثال عن الصبر والتحمل.[١٦] حين نُجرب بعدم الصبر مع الآخرين، ينبغي أن نتوقف ونتذكر طول أناة الله الرؤوفة علينا وعلى أخطائنا العديدة ضده. وفي ظل طول أناته علينا، من نحن

[١٦] خروج ٣٤: ٦؛ إشعياء ٧: ١٣؛ إرميا ١٥: ١٥؛ رومية ٢: ٤؛ ٩: ٢٢؛ غلاطية ٥: ٢٢؛ ١ تيموثاوس ١: ١٦؛ ٢ بطرس ٣: ٩، ١٥.

لنظـن أننـا لا يمكننـا نتحمـل بطـول أنـاة ضعفـات الآخريـن وسـقطاتهم — أو أخطائهـم ضدنـا؟

الافتقـار للتـأني يعـد قصـورًا خطـيرًا في القائـد المسـيحي. تعـد خدمتنـا مـع الرعيـة في المقـام الأول خدمـة روحيـة، لـذا ينبغـي أن تُقـام عـلى طريقـة اللـه بتـأني ورعايـة مُخلصـة. فالقائـد غـير المتـأني يهـدم الرعيـة مثلـه مثـل الأب غـير الحليـم مـع أبنائـه أو الراعـي غـير الصبـور عـلى خرافـه.

إن سـبب الاحتيـاج إلى التـأني يعـود لامتـلاء الحيـاة بالإحباطـات والآلام والظُلـم. في الحقيقـة، يسـتحيل قيـادة الرعيـة دون التعـرض للهجـوم آجـلًا أو عاجـلًا. تنعـت الرعيـة صفـات قادتهـا وتنتقـد قراراتهـم وتغتابهـم وتسـتغل محبتهـم.

لا بـد للمحبـة التـأني في مجاوبتهـا عـن مثـل هـذه الأفعـال. لـذا يـوصي بولـسُ عبـدَ الـربِ أن يتحـلى بالأنـاة حـين يُخطـأ فيـه:

> وَعَبْـدُ الـرَّبِّ لَا يَجِـبُ أَنْ يُخَاصِـمَ، بَـلْ يَكُونُ مُتَرَفِّقًـا بِالْجَمِيـعِ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيـمِ، صَبُـورًا عَـلَى الْمَشَـقَّاتِ، مُؤَدِّبًـا بِالْوَدَاعَـةِ الْمُقَاوِمِـينَ، عَـسَى أَنْ يُعْطِيَهُـمُ اللـهُ تَوْبَـةً لِمَعْرِفَـةِ الْحَـقِّ، فَيَسْـتَفِيقُوا مِـنْ فَـخِّ إِبْلِيـسَ إِذْ قَـدِ اقْتَنَصَهُـمْ لِإِرَادَتِـهِ. (٢ تيموثـاوس ٢: ٢٤-٢٦)

كـما نحتـاج للتـأني حـين نتعامـل مـع ضعفـات الآخريـن وسـقطاتهم. لا بـد أن نتحـلى بالتـأني لنحتمـل بطيئـي التعلـم، ومقاومـي التغيـير، والضعفـاء في الإيمـان، وسريعـي التذمـر، ومُهمـلي مسـؤولياتهم، وغـير المتزنـين عاطفيًـا، والشـاعرين بالخـوف، والضالـين. يعلـم بولـس قائـلًا «أَنْـذِرُوا الَّذِيـنَ بِـلَا تَرْتِيـبٍ. شَـجِّعُوا صِغَـارَ النُّفُـوسِ. أَسْـنِدُوا الضُّعَفَـاءَ. **تَأَنَّـوْا عَـلَى الْجَمِيـعِ**» (١ تسـالونيكي ٥: ١٤). كـما يُعلِّـم بولـس أيضًـا تيموثـاوس قائـلًا: «اكْـرِزْ بِالْكَلِمَـةِ... وَبِّـخِ، انْتَهِـرْ، عِـظْ **بِـكُلِّ أَنَـاةٍ**» (٢ تيموثـاوس ٤: ٢).

تحلي القادة بالتأني عمليًا:

التحلي بالتأني لا يعني انتهاج السلبية أو رفض مواجهة خطايا الرعية أو مشكلاتهم. بدون قيادة بولس الرعوية المتأنية، لذهب هو وكنيسة كورنثوس كل منهما في طريقه. بل إن أسلوبه الحازم لكن المتأني في تناوله للمشكلات حافظ على العلاقة. حين انتقده أهل كورنثوس ظلمًا، لم يتركهم بولس أو قطعهم أو هاجمهم وقابل الشر بالشر أو غضب شرًا. بل رد على انتقادهم وواجه خطاياهم وحذر من ميولهم وسلوكهم. ما أعظم مما فعله بتأني حقيقي بمحبة قلبية.

لذلك، استطاع بولس إخبار أهل كورنثوس بأن قيادته اتسمت بالتأني والوداعة والمحبة في قوله:

> وَلَسْنَا نَجْعَلُ عَثْرَةً فِي شَيْءٍ لِئَلَّا تُلَامَ الْخِدْمَةُ. بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ نُظْهِرُ أَنْفُسَنَا كَخُدَّامِ اللهِ، فِي صَبْرٍ كَثِيرٍ ... فِي أَنَاةٍ، فِي لُطْفٍ، فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ، فِي مَحَبَّةٍ بِلَا رِيَاءٍ. (٢ كورنثوس ٦: ٣-٤، ٦)

لا يقل التحلي بالتأني في قيادة الكنيسة أهمية اليوم عما كان في أيام بولس. تقدم لنا حياة روبرت تشابمان أحد أعظم الأمثلة إلهامًا وتحديًا عن الروح الممتلئة بالتأني في مواجهة صراعات الكنيسة والمُتحزبين. يمكنك القراءة عن رجل الله هذا من كُتيب **قيادة المحبة: دروس في القيادة الروحية من حياة روبرت تشابمان.**[١٧]

حياة روبرت تشابمان المُذهلة:

اشتهر روبرت تشابمان بمحبته. ومثل جميع القادة المُحبين، أظهر أناة استثنائية أمام الذين يصعب التعامل معهم ومع مشكلاتهم. باستثناء

[17] Robert L. Peterson & Alexander Strauch, *Agape Leadership: Lessons in Spiritual Leadership from the Life of R. C. Chapman* (Colorado Springs: Lewis & Roth, 1991).

الكتاب المقدس، ما من إنسان أثر في تفكيري تجاه المحبة والقيادة أعمق من روبرت تشابمان.

أثناء حياته، أطلق عليه البعض لقب «رسول المحبة»، وقال عنه تشارلز هادون سبُرجن إنه «أتقى إنسان عرفته». كان تشابمان المُرشد الروحي لجورج مولر، مؤسس ومدير ملجأ آشلي داون الشهير في بريستول بإنجلترا. كما كان من أعز أصدقاء هَدسون تايلر ومن أوائل أمنائه في إرسالية الصين الداخلية.

ترك روبرت تشابمان عمله بالمحاماة في لندن ليصير راعيًا لكنيسة معمدانية صغيرة تؤمن بالكفارة المحدودة في بارنستابل بإنجلترا. قد مر على هذه الكنيسة الصغيرة المتنازعة ثلاثة رعاة خلال عام ونصف قُبيل تنصيب تشابمان. وكان على يقين إنه سيغدو رابعهم.

تعتبر قصة كيف حول تشابمان هذه الكنيسة المتنازعة إلى الاتجاه الآخر بروح التحمل والمحبة وخدمة التعليم الكتابي رواية مُلهمة عن القيادة المسيحية. فأضحت كنيسة كبيرة متوائمة، واشتهرت في جميع أرجاء إنجلترا بمحبتها العجيبة وإرساليتها للخارج وخدماتها العطوفة للفقراء.

في الهزيع الأخير من حياته وهو في التاسعة والتسعين، ومن ذيع صيت تشابمان بشخصيته المُحبة وحكمته، وصل إلى منزله خطابًا من خارج البلاد لم يُكتب عليه سوى «أر. سي. تشابمان، جامعة المحبة، إنجلترا». لقد أظهر تشابمان «الطريق الأفضل» للقيادة المتأنية المُحبة.

الْمَحَبَّةُ تَرْفُقُ

وضع بولس أول صفتين للمحبة متلازمتين وتوازن كل منهما الأخرى في تكامل: أي المحبة التي تتأنى وتحتمل (الصفة المفعول بها أو رد الفعل)

بجانب المحبة التي تُظهر الترفق (الصفة الفاعلة). فالتأني والترفق وجهان لعملة المحبة. كتب جراهام سكورجي «لا يمكنك إطلاقًا التحلي بمحبة دون ترفق مثلما لا يمكنك رؤية الربيع دون زهور».[١٨]

الترفق هو الاستعداد لفعل الخير وتقديم يد العون وتخفيف الأتعاب وأن تكون مفيدًا وخدومًا ورقيقًا ومتعاطفًا مع الآخرين. قيل عنه «الترفق هو المحبة في ثياب العمل».

الله يرفق بالجميع،[١٩] وأظهر عمل ربنا يسوع المسيح على الأرض رفقًة غزيرة وعطوفة. تزخر الأناجيل بقصص ترفق الرب يسوع على المحتاجين من الرجال والنساء: حين لمس الرب يسوع رجلًا وصفه لوقا الطبيب إنه «مَمْلُوءٌ بَرَصًا» (لوقا ٥: ١٢-١٣). يصف وليام لاين هذا بدقة قائلًا «عمل رحمة ورأفة لم يُسمع به قبلًا».[٢٠] وحين قابل الرب يسوع المرأة المُنحنية جراء المرض وروح ضعف، «وَضَعَ عَلَيْهَا يَدَيْهِ» (لوقا ١٣: ١٣). وحين لمس عيني الأعمى وأطعم الجموع. لقد استقطع الرب يسوع وقتًا وتوقف ليبارك الأطفال. وأكل وتحدث مع أكثر طائفة يمقتها الشعب في عصره وهم العشارين. كما وجدت إحدى النساء سيئات السُمعة الرفق والرحمة عند قدميه (لوقا ٧: ٣٧-٥٠). أوجزت الآية ٣٨ من الإصحاح العاشر من سفر أعمال الرسل مُجمل عمل الرب يسوع في «جَالَ يَصْنَعُ خَيْرًا».

قوة الترفق:

يبرز الكتاب المقدس أن كل من يقود ويعلم شعب الله هم خدام

[18] W. Graham Scroggie, *The Love Life: A Study of 1 Corinthians 13* (London: Pickering & Inglis, n.d.), 39.

[١٩] راعوث ٢: ٢٠؛ ٢ صموئيل ٩: ٣؛ مزمور ١٠٦: ٧؛ ١٤٥: ١٧؛ لوقا ٦: ٣٥؛ رومية ٢: ٤؛ ١١: ٢٢؛ أفسس ٢: ٧؛ تيطس ٣: ٤؛ ١ بطرس ٢: ٣.

[20] William L. Lane, *The Gospel According to Mark,* NICNT (Grand Rapids: Eerdmans, 1974), 87.

عليهم الترفق بالجميع (٢ تيموثاوس ٢: ٢٤). يقول بولس «كَخُدَّامِ اللهِ»، «فِي صَبْرٍ كَثِيرٍ» فِي أَنَاةٍ، فِي لُطْفٍ (١ كورنثوس ٦: ٤، ٦).

يصف القديس أوغسطينوس، في كتابه **اعترافات**، كيف، قبل إيمانه، جذبه الأسقف والواعظ ذائع الصيت الأنبا أمبروز باللطف والترفق أكثر من الوعظ الرنان قائلاً:

> قبلني «رجل الله» هذا مثل أب، وأظهر سروره بمجيئي في لطف وترفق يليق بأسقف. نشأ يروق لي؛ في البداية وحقيقةً ليس كونه معلمًا للحق، لأنني كنت معدمًا الثقة في كنيسته، بل كإنسان كان مترفقًا بي.[٢١]

يتحلى القادة المحبون باللطف والترفق حتى مع أولئك الذين ينتقدونهم أو يعادونهم أو يعارضونهم. قيل عن توماس كرانمر، أحد مطارنة كنيسة إنجلترا: «الذنب إليه كان بمثابة استيلاد لطفًا وترفقًا منه».[٢٢]

قيادة ينتقصها اللطف والترفق تُحدث كوارث. توضح رواية العهد القديم عن الملك رحبعام، ابن سليمان، كمثال، كيف دمرت القسوةُ والغلظة مَلكًا. قبل تنصيب رحبعام ملكًا، أتى إليه شعب إسرائيل طالبين معرفة روح حُكمه لهم، لأن أبيه أنهى حُكمه بتعسف شديد. قبل مجاوبتهم، استشار، مُصيبًا، الشيوخ — رجال محنكين خدموا أبيه ومُلمين بمبادئ القيادة الحكيمة والضحلة. فأشاروا عليه بالقيادة متحليًا باللطف والترفق قائلين «إِنْ كُنْتَ صَالِحًا نَحْوَ هَذَا الشَّعْبِ وَأَرْضَيْتَهُمْ وَكَلَّمْتَهُمْ كَلاَمًا حَسَنًا، يَكُونُونَ لَكَ عَبِيدًا كُلَّ الأَيَّامِ» (٢ أخبار الأيام ١٠: ٧).

متجاهلًا حكمة هؤلاء الشيوخ وحنكتهم، رفض رحبعام مشورتهم. واختار بحماقة مشورة أصدقائه الأحداث مفتقري الحنكة بمعاملة

[21] Augustine, *Confessions*, trans. Henry Chadwick (Oxford: Oxford University Press, 1992), 88.

[22] Alfred Tennyson, *Queen Mary* (Boston: James R. Osgood, 1875), 194.

الشعب بغلظة ويد ثقيلة عليهم (٢ أخبار الأيام ١٠: ١٠-١١). جراء ذلك، انقسمت الأمة بحرب أهلية حين أراد الشعب ملكًا عطوفًا مترفقًا لا قاسيًا. ولا يختلف شعب اليوم عنهم. لأن اللطف والترفق مفتاح قيادة الشعب بنجاح.

إذا أردنا الوصول إلى الناس والتأثير فيهم من أجل الرب يسوع المسيح، علينا التحلي بالرفق واللطف. تترسخ أعمال الرفق واللطف في الرعية وتجذب انتباههم، على سبيل المثال، إرسال بطاقة لمريض، أو إجراء مهاتفة شخصية، أو دعوة على العشاء، أو الاستعداد للمساعدة في تخفيف الأعباء، أو نبرة وكلمات حنونة، أو ملامسة ودودة، أو موقف ذكي، أو تعبير بسيط عن الاهتمام بأمور الآخر، أو زيارة. فطريق اللطف والترفق هو «الطريق الأفضل».

الفصل الثالث

لَا تَحْسِدُ ولَا تَتَفَاخَرُ

الْمَحَبَّةُ لَا تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لَا تَتَفَاخَرُ.

١ كورنثوس ١٣: ٤

في رحلته الكرازية الثانية، اتجه بولس الرسول إلى مدينة كورنثوس التي أقام فيها ١٨ شهرًا (أعمال الرسل ١٨: ١١). رأها بولس مدينة استراتيجية لتَقدُّم الإنجيل. في ذلك الحين، كانت كورنثوس مستعمرة رومانية مزدهرة؛ مدينة مُصغرة من روما وذات اقتصاد مزدهر ومركز تجاري نشط. تمكنت كورنثوس من توفير كافة ملذات المدينة العالمية المُتحررة لمواطنيها وزائريها. وعلَّىَ شعب هذه الثقافة من قدر تحقيق الثروة، واللهث خلف المكانة الشخصية، والفردية التنافسية، والحكمة، والمعرفة. لم يتغلغل نظام التقدير هذا داخل الثقافة فحسب، بل أثر سلبًا في الكنيسة. فبحسب أحد المفسرين، «لم تكمن المشكلة في أن الكنيسة تقع في كورنثوس، بل أن الكثير جدًا من كورنثوس كان داخل الكنيسة».[٢٣]

عندما كتب بولس الرسول الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس بعد ثلاثة أعوام ونصف العام تقريبًا من مغادرته للمدينة توجَّب عليها مناقشة مشكلات خطيرة داخل الكنيسة. كَمِنَ أصل هذه المشكلات

[23] David E. Garland, *1 Corinthians,* BECNT (Grand Rapids: Baker, 2003), 8.

في انتهاج سلوكيات العالم ومعتقداته التي بطبيعتها ضد إنجيل صليب المسيح وحكمته.

وعلى إثر الخطايا العديدة للكنيسة، توجَّب على بولس اتخاذ منحًا سلبيًا بوصفه ثماني صفات شخصية لا تتسق مع المحبة. هذه الصفات الثمانية، التي تنم جميعها على خطية الافتقار إلى المحبة، قسمت كنيسة كورنثوس، وهي ذاتها التي تقسم الكنيسة اليوم.

يوضح بولس أن المحبة لا:

١. تَحْسِدُ

٢. تَتَفَاخَرُ

٣. تَنْتَفِخُ

٤. تُقَبِّحُ

٥. تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا

٦. تَحْتَدُّ

٧. تَظُنُّ السُّوءَ

٨. تَفْرَحُ بِالْإِثْمِ (بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ)

تتعارض هذه الشرور الثمانية تمامًا مع المحبة. باختصار، يعبرون عن الحياة المُتمركزة حول الذات التي تفسخ العلاقات وتشُق الوحدة التي يجب تميز أي كنيسة محلية. تعمل قائمة بولس هذه كمعيار موضوعي لتقويم سلوكنا الأناني ولإرشادنا نحو «الطريق الأفضل».

الْمَحَبَّةُ لَا تَحْسِدُ

تقف أعلى قمة قائمة بولس خطية تسببت في كسر عدد لا يُحصى من

العلاقات وانشقاق العديد من الكنائس، هي خطية الحسد أو الغيرة. قسمت الغيرة كنيسة كورنثوس وخدعت أهلها بتفاخر أجوف بكونهم روحانيين: «فَإِنَّهُ إِذْ فِيكُمْ حَسَدٌ وَخِصَامٌ وَانْشِقَاقٌ، أَلَسْتُمْ جَسَدِيِّينَ وَتَسْلُكُونَ بِحَسَبِ الْبَشَرِ؟» (١ كورنثوس ٣: ٣)

الحسد يُشعر المرء بالاستياء من خير الغير وصالحه، ويُطمعه في مواهب الآخرين أو ممتلكاتهم أو مناصب تأثيرهم. ويشككه في شعبية الآخر ويدفعه لانتقاده. أشار نثنائيل فينسيت إلى عذاب روح الحسد وأنانيته بوضوح في قوله:

> يا له من جحيم قابع داخل طابع الحسود! سعادة الآخر بأسه، وخير الآخر عذابه. ينظر إلى فضيلة الآخر بعين شريرة، يتأسف عن الثناء على الآخر كما لو أن هذا الثناء انتُزع منه. يدفعه الحسد لكره قريبه، مع إنه جلاده.[٢٤]

يتعارض الحسد تمامًا مع المحبة؛ فهو يدمرها ومعها شخصية القائد.

الحسد مُدمر:

تقدم رواية الملك شاول وداود توضيحًا دقيقًا لقوة الحسد المدمرة في حياة القائد. في البداية أَحب شاولُ داودَ، لكن عقب الانتصار المُذهل للصبي الراعي على جُليات الجبَّار، غار الملك منه.

اتسم داود بالكثير ليُحسد عليه، كان شابًا ووسيمًا وقويًا وذكيًا وموهوبًا وذا شعبية. كان محاربًا منتصرًا باركه الله كثيرًا في جميع أعماله «فَتَوَقَّرَ اسْمُهُ جِدًّا» (١ صموئيل ١٨: ٣٠). حظي بشعبية هائلة ونال إعجاب الكثيرين حتى غنت له النساء «ضَرَبَ شَاوُلُ أُلُوفَهُ وَدَاوُدُ رِبْوَاتِهِ» (١ صموئيل ١٨: ٧).

[24] Nathaniel Vincent, *A Discourse Concerning Love* (1684; reprint ed., Morgan, PA: Soli Deo Gloria, 1998), 82.

أثارت هذه المقارنة بين انتصارات شاول وإنجازات داود العظيمة غضب شاول الملك وأشعلت أسوء نيران الغيرة داخله. فكره داود وعارضه في كل سبيل. تحدث عليه شرًا في كل مناسبة، ولم يفكر سوى في سقوطه. وعوضًا عن أن يتوب عن حسده وطلبه لعون الله في الإقرار بأن داود عطية من الله للأمة، أطلق شاول العنان لخطيته. قاده حسده للسخط والوسوسة واليأس ومكائد القتل. في النهاية، دمر شاول حياته وفقد مملكته. أثبتت حياته حيث يقبع الحسد والغيرة تغيب المحبة.

ما من إنسان مُحصَّن من الحسد الطفيف المُرتكز حو الذات؛ حتى أن أعظم المُرسلين وخدام الرب صارعوا مع هذه الخطية. لاحظ جورج مولر، مؤسس ملجأ آشلي داون في مدينة بريستول في إنجلترا، أثناء مشاركته هنري كريك رعاية إحدى كنائس بريستول، أن الرعية تستمتع أكثر بتعليم هنري أكثر من تعليمه. لم يكن هنري كريك معلمًا بارعًا للكتاب المقدس فحسب، بل كان أيضًا أستاذًا نابغًا في اللغة العبرية رفيع الطراز. مع ذلك وبخلاف شاول الملك، كان مولر رجل إيمان وصلاة استثنائيًا، اعترف بمشاعر الحسد إلى شريكه وواجه خطيته، فيقول:

> في العام ١٨٣٢، لاحظت أن البعض يحبذ خدمة أخي الحبيب على خدمتي. فقررت، بقوة الرب، أن أُسر بهذا بدلًا من أن أحسده. قلت مع يوحنا المعمدان «لَا يَقْدِرُ إِنْسَانٌ أَنْ يَأْخُذَ شَيْئًا إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ السَّمَاءِ» (يوحنا ٣: ٢٧). مقاومة الشرير عرقلت انفصال القلوب.[٢٥]

[25] W. Elfe Tayler, *Passages from the Diary and Letters of Henry Craik of Bristol* (London: Paternoster, n.d.), xiii.

استمرت صداقة جورج مولر وهنري كريك لثلاثة وثلاثين عامًا حتى انتقال كريك.[٢٦] على الرغم من أنهما كانا أقوياء ومتعددي المواهب بشخصيتين مختلفتين إلى حد كبير، كانت علاقتهم الممتدة شهادة علنية على قوة المحبة المسيحية. اشتهر مولر بصداقاته الممتدة المتعددة مع رجال مثل هدسون تايلر وتشارلز سبرجن ودي. إل. مودي وروبرت تشابمان وغيرهم. لا يحظى الحاسدون، للأسف، بالكثير من الأصدقاء، بل على الكثير من الصراعات.

ينبغي إدراك أن خطية الحسد شائعة وسط شعب الله والقادة المسيحيين. فقد ينجرف الرعاة للتطرف بالقضاء على الموهوبين داخل الكنيسة الذين يشعرون أنهم تهديد عليهم. وقد تحسد كنائسُ كنائسَ أخرى أكبر أو تنمو أسرع. وقد يحسد مرسلون أقران لهم أكثر ثمارًا أو مدعومين أكثر. وقد يحسد قادة اجتماع درس الكتاب قادةَ آخرين أكثر شهرة. وقد يحسد مرنمون زملاءً آخرين يرنمون مرات أكثر أو ينالون تصفيقًا أعلى. وقد يحسد شيوخُ رفقاء لهم أبرع مقدرة على القيادة أو ألمع في المعرفة. وقد يحسد شمامسة نظراء لهم يخدمون بفعالية أكثر أو يُطلب منهم المساعدة على نحو متكرر.

المحبة تفرح بنجاح الآخرين

المحبة «لا تحترق بالحسد».[٢٧] المحبة قلب كبير وموجهه نحو الآخرين

[٢٦] ذكر كاتب سيرته الذاتية: ما من صفة في شخصية السيد كريك أكثر إشراقًا من محبته. لقد أضاءت على وجهه، واختلجت بنبرة صوته، وكانت حياته تفسيرًا حيًا لآية «فَلْنَعْمَلِ الْخَيْرَ لِلْجَمِيعِ». ومنها انبثقت أمانته في الوعظ، وحساسيته الشديدة في تأمل امكانيات البشر، وتعاطفه الشديد مع أحزان الآخرين، وحنوه الفائق تجاه أحبائه خاصة أفراد عائلته. فبكل تأكيد لقد فارقت روح مُحبة ومتعاطفة أخرى هذا العالم فجأة.

Tayler, *Passages from the Diary and Letters of Henry Craik of Bristol,* 307.

[27] Anthony C. Thiselton, *The First Epistle to the Corinthians,* NIGTC (Grand Rapids: Eerdmans, 2000), 1048.

وراضية وممتلئة بحب الخير لهم. «حين ترى المحبة شخصًا مشهورًا أو ناجحًا أو جميلًا أو موهوبًا، تفرح من أجله ولا تُغار منه أو تحسده».[٢٨] المحبة الأخوية هي أن تقدموا «بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ» (رومية ١٢: ١٠).

على سبيل المثال، فرح برنابا المُحب، شريك بولس، من أجل مواهب بولس العظيمة ودعاه لفرص خدمة مهمة كمعلم شريك في كنيسة أنطاكية (أعمال الرسل ١١: ١٩-٢٦). وكان يوناثان المُحب، ابن شاول الملك، مختلفًا تمامًا عن أبيه الحسود. أحب داود حبًا جمًا وقدر قدراته القيادية، وكان مستعدًا أن يعرض منصبه المستقبلي كملك للخطر (١ صموئيل ٢٣: ١٦-١٧) ليدافع عن قضية داود ويدعمها.

بصفتنا قادة مسيحيين، ينبغي أن يدفعنا التزامنا بالمحبة بالفرح حقًا لنجاحات الآخرين ومواهبهم. ينبغي أن نسعى لتقديم فرص الخدمة المتاحة للآخرين، وتقدير نقاط قوتهم ومواهبهم كما لو كانت خاصتنا (١ كورنثوس ١٢: ٢٥-٢٦). حين تبزغ مشاعر الحسد تجاه الآخرين، لا بد أن نُقر بها كما هي — خطية ومتمركزة حول الذات. ومثل جورج مولر، لا بد أن نقرر، بقوة الله، أن نفرح بنجاح الآخرين. سنكون أسعد وأكثر رضى، وسيُسر الله حين نفكر ونعمل حسب «الطريق الأفضل».

الْمَحَبَّةُ لَا تَتَفَاخَرُ

التفاخر، مثل خطية الحسد أو التباهي، هو خطية الانشغال بالذات. فالمتفاخرون يتوسلون جذب الانتباه. هم يريدون مدح الآخرين على قدراتهم ومعرفتهم ونجاحاتهم وحتى ألامهم من أجل الرب. ولأنهم

[28] John MacArthur, *1 Corinthians* (Chicago: Moody Press, 1984), 340.

يسعون لتقديرهم، فيتحدثون بزهو وكثيرًا عن أنفسهم، على الرغم من إنهم قد لا يمتلكون شيئًا مهمًا ليتحدثوا عنه.

لطالما كان التفاخر مشكلة خطيرة وسط المتدينين. كان الفريسيون المراؤون الذين تتقدمهم الأبواق يتوسلون غير خجلين انتباه الناس. كانوا متدينين متفاخرين. أوضح الرب يسوع إلى أي مدى كانوا يحبون المتكأ الأول في المجمع، والتحية في الطرقات، والتهليل لأعمال تقواهم العلنية. وبالمثل، تفاخر مؤمنو كنيسة كورنثوس بحكمتهم الفوقية، ومواهب وعظ معلمهم المفضل، وتجاربهم الروحية المعجزية. لقد امتلأوا بأنفسهم لا بالمحبة.

لا يزال هذا التفاخر مشكلة إلى الآن. أتذكر جيدًا حين زارني كارزًا مرسلًا، برفقة آخرين، على العشاء. ظل ثلاث ساعات يتحدث عن نفسه وخدمته ونجاحه. أخبرنا عن اجتهاده في عمله، ومدى المسافات التي يقطعها، وكيف باركه الله. مع ذلك وطوال هذه العشاء الممتد، لم يسأل قط بشأن الآخرين على المائدة. كان متفاخرًا.

مرة أخرى، كنت في مؤتمر كنسي ضم المئات من طاولات الكتب والخدمات. كانت طاولة كتابنا بجانب مقصورة إحدى الخدمات بها راعيًا ومؤلفًا ذائع الصيت عالميًا. كان يتحدث طوال الوقت عن نفسه. لم نستطع التجاهل، بل ظللنا نسمعه يمدح ذاته طوال يومين كاملين. فقد أخبر كل شخص تحدث إليه كم هي كبيرة كنيسته، وكم يبلغ عدد خدامها ومدبريها، وكم تبلغ ميزانيتها. لم يتحلى حتى باللياقة في ذكره لأسماء مشاهير يعرفهم وأماكن وعظ بها. كان متفاخرًا.

مع ذلك، التفاخر لا ينفع أحدًا. نحن نتحدث عن «التفاخر الأجوف»، لكن في الحقيقة وكما يقول سكورجي «ما من أنواع أخرى للتفاخر؛

فطبيعته وجوهره تكمن في الفراغ. التفاخر إعلان عن الافتقار دائمًا».[٢٩] التفاخر لا يبني شعب الكنيسة ولا يخدمه؛ التفاخر لا يمجد المسيح. بل يرهب الرعية ويفرقهم، ويدفعهم إلى الحسد. لا يُحبذ التفاخر في القادة على وجه التحديد لأنه يُفسد شخصيتهم. لا نريد أن يتبع شعب الكنيسة هذا المثال. يتجاهل المتباهون بوقاحة نهي الله عن مدح الذات «لِيَمْدَحْكَ الْغَرِيبُ لَا فَمُكَ، الْأَجْنَبِيُّ لَا شَفَتَاكَ» (أمثال ٢٧: ٢).

المتباهون يعلون من أنفسهم، والحاسدون يهدمون الآخرين، لكن المحبون يبنون الآخرين.

المحبة تشجع الآخرين وتُثني عليهم

المحبة تُشجع الآخرين وتُثني عليهم. محبة مكتفية بنفسها وتتحاشى الحديث عن ذاتها. لذا يفرح المتحلون بمحبة المسيح بتركيز الانتباه إلى الآخرين، وبوضع الآخرين في المركز، وبمشاركة الآخرين في تقاسم الأضواء.

في سياق التفكير في الموهوبين روحيًا، كتب بولس «فَإِنِّي أَقُولُ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي، لِكُلِّ مَنْ هُوَ بَيْنَكُمْ: أَنْ لَا يَرْتَئِيَ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ، بَلْ يَرْتَئِيَ إِلَى التَّعَقُّلِ» (رومية ١٢: ٣). هذا لا يعني ألا نتحدث عن أنفسنا قط أو ألا نسمح للآخرين بالاستفسار عن اهتماماتنا أو خدماتنا. فهناك شعرة رفيعة بين التحدث عن أنفسنا باتضاع، والتفاخر بأسلوب شرير متمحور حول الذات. ومثل بولس وبرنابا، على المرسلين تقديم تقارير بعمل الرب من خلال مجهوداتهم إلى من يدعمونهم (أعمال الرسل ١٤: ٢٧؛ ١٥: ٣). كثيرًا ما يستخدم المعلمون المهرة أمثلة توضيحية مُقتبسة من تجاربهم الشخصية للتعليم بفعالية دون تفاخر

[29] W. Graham Scroggie, *The Love Life: A Study of 1 Corinthians 13* (London: Pickering & Inglis, n.d.), 40.

(غلاطية ٢: ١-١٤). يكمن الاختلاف في أن المتباهين يستغلون الآخرين لسد احتياجهم للانتباه والمديح.

كان صديق لي مبشر عائدًا إلى إفريقيا، وعلى متن إحدى السفن قابل الشاب بيلي جراهام وشهد على محبة غير متفاخرة. كان جراهام في طريقه إلى حملة لندن الكرازية. وحين تقابلا وتحدثا أثناء رحلتهما، شيء ما في جراهام لمس صديقي بداخله. استفسر جراهام عن حياة صديقي وخدمته في أفريقيا؛ كان حقًا مهتمًا بعمل صديقي. لاحظ صديقي أن جراهام نادرًا ما تحدث على وجه التحديد عن نفسه أو تجاربه الاستثنائية بصفته كارزًا. في نهاية رحلتهما، سأل صديقي المبشرُ الكارزَ كيف يصلي من أجله، طلب منه جراهام أن «يصلي أن يكون إنسانًا متضعًا». منذ عدة سنوات مضت، كشفت طلبة الصلاة هذه عن قلب ممتلئ بالحكمة والمحبة. وبعد عقود، من الجلي أن كبرياء امتلاك المواهب أو النجاح ليس انتقادًا وُجه ضد بيلي جراهام.

فالأمر الذي نتعلمه من هذا المثال، **أن المتضعين ليسوا متسولي ثناء شخصي**، بل يشجعون الاخرين ويدعمونهم ويثنون عليهم حسب «طريق المحبة الأفضل».

الفصل الرابع

لَا تَنْتَفِخُ، وَلَا تُقَبِّحُ

الْمَحَبَّةُ... لَا تَنْتَفِخُ، وَلَا تُقَبِّحُ.

١ كورنثوس ١٣: ٤-٥

ما من نقيض حاد لمثال المسيح، رسالة الصليب، والمحبة المسيحية أشد من تعجرف الذات المنتفخ. إن المسيحيين خطاة مخلصون بنعمة الله، وكل مواهبنا الروحية وخدماتنا قد أنعم بها الله علينا. لذا يقول الكتاب المقدس «لأَنَّه مَنْ يُمَيِّزُكَ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ لَكَ لَمْ تَأْخُذْهُ؟ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ، فَلِمَاذَا تَفْتَخِرُ كَأَنَّكَ لَمْ تَأْخُذْ؟» (١ كورنثوس ٤: ٧).

فما من موضع قط للأنانية في عمل الرب، خاصة لقادة جماعة الصليب ومعلميها. مع ذلك، تبرز مشكلة الانتفاخ على نطاق واسع وسط قادة اليوم.

أثناء حضوري أحد حفلات التخرج لإحدى الكليات اللاهوتية، ألقى رئيس الكلية كلمة صعبة لكن مُثيرة بعنوان «متلازمة الزهو بالنفس». وسُرت نفسي لسماعه يحذر المتخرجين من الزهو بأنفسهم والاختيال بدلًا من اعتبار أنفسهم خدام متضعين للرب يسوع المسيح. وليشدد على تحذيره، أحضر منشقة وقطعها إلى مربعات صغيرة ووضعهم في

سلة. وفي نهاية كلمته، دعا الخريجين ليتقدموا ليأخذ كل خريج قطعة من المنشفة. ثم قال لهم ضعوها في محافظكم لتتذكروا دومًا أن الرب يسوع المسيح أخذ منشفة وغسل في اتضاع أرجل تلاميذه. يا له من تذكار رائع لخدام الإنجيل الشباب. إن تذكر مثال اتضاع المسيح جيد لأي خادم في منصب قيادة في الكنيسة المحلية.

الْمَحَبَّةُ لَا تَنْتَفِخُ

تغلغلت روح منتفخة داخل كنيسة كورنثوس مما نتج عنها العديد من المشكلات.[٣٠] يعد الانتفاخ نقيض المحبة لأنه يركز على الذات أكثر من الآخرين. فالمنتفخون، خاصة المتدينون منهم، يرون ذواتهم أفضل من بقية البشر. ويظنون أنهم يعلمون الكثير، أكثر مما يعرفون، يعدون أنفسهم أكثر قداسة من الآخرين، ويخيل إليهم أنهم أكثر موهبة مما يمتلكونه. هم عميان عن خطاياهم وضعفاتهم وأخطائهم اللاهوتية الصارخة. وكما قالت آمي كارمايكل قبلًا «من يفكرون كثيرًا في أنفسهم، لا يفكرون كفاية».[٣١]

يمكن ترجمة الأصل اليوناني لكملة **منتفخ** إلى «مزهو» أو «مُبالغ فيه». وضح جي. بي. فيليبس الفكرة جيدًا في ترجمته: المحبة لا «تغالي في أفكار مبالغ فيها من واقع أهميتها».[٣٢] بصيغة أخرى، المحبة ليست مُصابة بعقدة التفوق. كان هذا مبدأً مهمًا ليدركه تلاميذ الرب يسوع، لأنه في عصرهم كان العديد من القادة الدينيين منتفخين بالكبرياء

[٣٠] يظهر الفعل «منتفخ» *phusioō* سبع مرات في العهد الجديد، منهم ست مرات في كورنثوس الأولى (٤: ٦، ١٨-١٩؛ ٥: ٢؛ ٨: ١؛ ١٣: ٤).

[31] Quoted in Wayne A. Mack, *Humility: The Forgotten Virtue* (Phillipsburg, NJ: P&R Publishing, 2005), 61.

[32] J. B. Phillips, *The New Testament in Modern English,* rev. ed., (New York: Macmillan,1972), 361.

الدينـي. وقـد أُشـير إلى أحـد الفريسـيين المنتفخـين يصـلي في نفسـه قائـلًا «اَللَّهُـمَّ أَنَـا أَشْـكُرُكَ أَنِّي لَسْـتُ مِثْـلَ بَاقِـي النَّـاسِ» (لوقـا ١٨: ١١).

في المقابـل، نهـى الـرب يسـوع بشـدة تلاميـذه عـن أي تعظيـم أعمـى للـذات في قولـه «وَأَكْبَرُكُـمْ يَكُـونُ خَادِمًـا لَكُـمْ. فَمَـنْ يَرْفَـعْ نَفْسَـهُ يَتَّضِـعْ، وَمَـنْ يَضَـعْ نَفْسَـهُ يَرْتَفِـعْ» (متـى ٢٣: ١١-١٢). اتضـاع الذهـن لا انتفاخـه، يعـد سـمة المؤمـن بالمسـيح. فالانتفـاخ سـلوك الشـيطان (إشـعياء ١٤: ١٣-١٤)، لا المسـيح. ومثلـما قـال جوناثـان إدواردز بحكمتـه «مـا مـن صفـة تُبعـد المسـيحي عـن ابتـلاع إبليـس مثـل الاتضـاع».[٣٣]

يعـد دِيُوتْرِيفِـسَ مثـال العهـد الجديـد عـن القائـد المنتفـخ المزهـو بنفسـه. يقـول الكتـاب المقـدس إنـه أحـب أن يكـون أولًا في قـول يوحنـا:

> كَتَبْـتُ إِلَى الْكَنِيسَـةِ، وَلَكِـنَّ دِيُوتْرِيفِـسَ -الَّـذِي يُحِـبُّ أَنْ يَكُـونَ الْأَوَّلَ بَيْنَهُـمْ- لَا يَقْبَلُنَـا. مِـنْ أَجْـلِ ذَلِـكَ، إِذَا جِئْـتُ فَسَـأُذَكِّرُهُ بِأَعْمَالِـهِ الَّتِـي يَعْمَلُهَـا، هَـاذِرًا عَلَيْنَـا بِأَقْـوَالٍ خَبِيثَـةٍ. وَإِذْ هُـوَ غَـيْرُ مُكْتَـفٍ بِهَـذِهِ، لَا يَقْبَـلُ الْإِخْـوَةَ، وَيَمْنَـعُ أَيْضًـا الَّذِيـنَ يُرِيـدُونَ، وَيَطْرُدُهُـمْ مِـنَ الْكَنِيسَـةِ. (٣ يوحنـا ٩-١٠)

كان دِيُوتْرِيفِـسَ مزهـوًا بنفسـه وانتقـد يوحنـا الحبيـب ولم يصـغ إليه. وأسـاء معاملـة مـن اختلفـوا معـه، وخلـق جـوًا مـن الخـوف داخـل الكنيسـة المحليـة، وطلـب مـا لنفسـه. لم يكـن بانيًـا للآخريـن، بـل كان يمنعهـم. لم يكـن موحـدًا بـل مُحـدث انشـقاقات. لم يكـن خادمًـا قائـدًا بذهـن متضـع. لم يشـارك خدمتـه مـع أقرانـه أو أخوتـه مثـل بولـس. رفـض التقويـم والتعليـم الكتابيـين. لم يكـن قلبـه تائبًـا أمـام اللـه، وروحـه المنتفخـة شـقت الشـعب وأهانـت الكنيسـة. كان دِيُوتْرِيفِـسَ بكلـمات بولـس «نُحَاسًـا يَطِـنٌّ أَوْ صَنْجًـا يَـرِنُّ» (١ كورنثـوس ١٣: ١).

---

[33] Jonathan Edwards, "Undetected Spiritual Pride," http://www.bibleteacher.org/jedw_19.htm (accessed Sept. 19, 2005).

المحبة متضعة وبسيطة

طبيعة المحبة نقيض الانتفاخ. المحبة تفكر باتضاع وببساطة عن ذاتها وعن الآخرين (رومية ١٢: ٣). تقول روح المحبة «غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِالْأُمُورِ الْعَالِيَةِ بَلْ مُنْقَادِينَ إِلَى الْمُتَّضِعِينَ. لَا تَكُونُوا حُكَمَاءَ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ» (رومية ١٢: ١٦). كما وعظ بطرس قادة الكنيسة قائلًا «وَتَسَرْبَلُوا بِالتَّوَاضُعِ» (١ بطرس ٥: ٥). ويُذكر بولس شيوخ كنيسة أفسس أنه خدم «الرَّبَّ بِكُلِّ تَوَاضُعٍ» (أعمال الرسل ٢٠: ١٩).

الاتضاع هو عقلية الخادم. يُكسب القائد إمكانية التعلم، ويجعله متقبلًا للنقد البناء، وأفضل في تعاونه مع الآخرين، ومؤهلًا على نحو أفضل للتعامل مع إخفاقات الآخرين وخطاياهم، وأكثر استعدادًا للخضوع للآخرين، وأقل ميلًا للنزاع، وأسرع إلى تسوية الخلافات. بدون اتضاع، لا يمكن للمرء أن يصير قائدًا على صورة المسيح (متى ١١: ٢٩؛ فيلبي ٢: ٧-٨).

الاتضاع يُكسب معلمي الكلمة قدرة أفضل على التعامل مع الرعية على مختلف مستويات الحياة، حتى مع أفقرهم وأقلهم تعليمًا، مثلما فعل ربنا يسوع المسيح. لا بد على معلمي الكلمة أن يكونوا خدامًا متضعين وإلا سيخالفون رسالة الإنجيل.

كان بولس وأبولس قائدين ومعلمين بارزي الموهبة. كان من الممكن بسهولة أن يُجربا بالانتفاخ بمشاعر الاستعلاء بسبب عقولهم اللامعة ونجاحاتهم العديدة بالإنجيل. لكن بولس بحكمة يُذكِّر أهل كورنثوس الذين أعلوا من قدر معلمين منتفخين، بأنه هو وأبلوس كانا خادمين متضعين للرب، لا شيء أكثر من ذلك؛ فكتب «فَمَنْ هُوَ بُولُسُ؟ وَمَنْ هُوَ أَبُلُّوسُ؟ بَلْ خَادِمَانِ آمَنْتُمْ بِوَاسِطَتِهِمَا، وَكَمَا أَعْطَى الرَّبُّ لِكُلِّ وَاحِدٍ» (١ كورنثوس ٣: ٥).

مـن ثـم، يتسـم القـادة والمعلمـون المُخبـون بالاتضـاع والبسـاطة. فهـم لا يعاملـون النـاس بزهـو، بـل باحـترام. ويخدمـون الآخريـن باتضـاع ويرفعونهـم لا أنفسـهم.

كان سي. إس. لويـس، أحـد أشـهر المؤلفـين المسـيحيين عالميًـا، إنسـانًا متضعًـا ومُعلـمًا سـلك «طريـق المحبـة الأفضـل». عَلَّـمَ لويـس في جامعتـي أوكسـفورد وكامبريـدج بإنجلـترا وذاع صيتـه عالميًـا عندمـا تحـول مـن الإلحاد إلى المسـيحية. ألـف العديـد مـن الكتـب المسـيحية التـي بيـع منهـا الملايـين وتُرجمـت إلى لغـات عديـدة. فقـد لمسـت كتاباتـه نفـوس لا تُحـصى مـن أجـل الـرب يسـوع المسـيح.

عـلى الرغـم مـن نجاحـه الهائـل عالميًـا، كان لويـس متضعًـا وأسـتاذًا أكاديميًـا ومُعلـمًا للأطفـال، ولم يبخـل عـلى أي مِمـن طلبـوا نصيحتـه. كـما كان يُجيـب بنفسـه عـلى آلاف الخطابـات مـن أُنـاس عاديـين لم يقابلهـم قـط لكنهـم طلبـوا مسـاعدته. آمـن لويـس بـأن اللـه يريـده أن يجيـب عـن كل خطـاب، وهـذا مـا فعلـه، كـما «تعامـل مـع كل مراسـل كـما لـو كان في أهميـة ملـك إنجلـترا أو ملكتهـا».[٣٤] يعـد هـذا إنجـازًا رائعًـا نظـرًا لجدولـه المُزدحـم. فقـد أجـاب أسـئلة عـن الاكتئـاب والصراعـات الزوجيـة والمعضـلات اللاهوتيـة الصعبـة. كـما ألـزم نفسـه بالصـلاة يوميًـا مـن أجـل الذيـن يعانـون ممـن طلبـوا صلاتـه حـول العـالم — أُنـاس لم يقابلهـم قـط، وبعضهـم كان غريبـي الأطـوار.

كان لويـس أنجليكانيًـا (أسـقفيًا) وكان يحـضر في الكنيسـة الأنجليكانيـة القريبـة مـن منزلـه حيـث كان عـلى علاقـة بمجموعـة مختلفـة مـن الأصدقـاء منهـم مَـن لم يكـن مـدركًا كفايـة بنجاحـه الأدبي وشـعبيته العالميـة. رأى لويس،

[34] Lyle W. Dorsett, *Seeking the Secret Place: The Spiritual Formation of C. S. Lewis* (Grand Rapids: Brazos Press, 2004), 118.

بما أن السماء ستكون ممتلئة بجميع أطياف البشر يعبدون الله، إنه «لا يُعقل» البحث عن كنيسة لا تمنح عضويتها سوى للأكاديميين والأساتذة. فكانت عبادته في كنيسته المحلية له بمثابة إعداد للعبادة السماوية.[٣٥]

وقد كشف سائق سيارة الأجرة التي كان يستقلها (لم يمتلك لويس سيارة) عن اتضاعه مع الآخرين في قصة مُبهجة. لقد تعامل معه لويس، كما مع الجميع، باهتمام واحترام مُهذب. كتبت لايل دورسِتّ، إحدى كُتَّاب سيرة سي. إس. لويس الذاتية، قائلة:

> وجد [موريسُ] السيد لويس ودودًا ولطيف المعشر، عامله دائمًا كما لو أنه نظيرًا له بالرغم من التفاوت الواسع بين الطبقتين الاجتماعيتين والمستويين التعليميين. فاجأت هذه المُعاملة موريس وباركته، لأن الآخرين، بما فيهم المسيحيين، لم يتحلوا بالسماحة. أحيانًا، حين يصعد الأستاذ لويس إلى السيارة وفي الطريق إلى كامبريدج يقول «معذرة موريس، لن أستطيع التحدث لمدة ١٥ دقيقة؛ أريد أن أصلي».[٣٦]

آمن سي. إس. لويس بضرورة الاتضاع في حياة المسيحي، والمخاطر العديدة لخطية الكبرياء الذي كتب عنه «بالكبرياء صار الشيطان شيطانًا: الكبرياء هو المنزلق نحو جميع الشرور الأخرى، والعصيان الواعي الكامل ضد الله».[٣٧]

لكن، مَن يعيش حسب «الطريق الأفضل» لا يعاني من «العصيان الواعي الكامل ضد الله»، بل مثل مخلصه «وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ» (متى ١١: ٢٩).

---

[٣٥] المصدر السابق، ٤١

[٣٦] المصدر السابق، ٤٢

[37] C. S. Lewis, *Mere Christianity* (San Francisco: HarperCollins, 2001), 122.

الْمَحَبَّةُ لَا تُقَبِّحُ

المحبة المسيحية تؤثر في جميع السلوكيات، ويخبرنا الكتاب المقدس أن المحبة لا تُقَبِّح أي إنها «لا تتصرف بسلوك مناف للياقة».[٣٨] إن الفعل «قبَّحَ» يوصل فكرة السلوك الشائن والمُنافي لمعايير السلوك واللياقة اللائقين المتعارف عليها. فبالتالي تعد الملابس غير المُحتشمة، والحديث الأهوج، وعدم احترام أوقات الآخرين أو أخلاقياتهم، واستغلال الآخرين، وعدم الكياسة، وتجاهل مساهمات الآخرين أو أفكارهم، وعدم الاكتراث بخطط الآخرين واهتماماتهم، والسلوك المنافي مع الجنس الآخر، والفظاظة والغلظة، والتجاهل المطلق للسلوك الاجتماعي اللائق جميعها برهان على الافتقار إلى المحبة، كما إنها غير مرحب بها داخل الكنيسة.

كان الافتقار إلى المحبة دليلًا على قبح سلوك كنيسة كورنثوس. فكان الأعضاء الأغنياء لا ينتظرون الفقراء حتى يجتمعوا أمام عشاء الرب. بل كانوا يتناولون بأنانية أطعمتهم غالية الثمن، ويتركون القليل منه للفقراء ليأكلونه (١ كورنثوس ١١: ٢١-٢٢، ٣٣).

وأعضاء آخرين كانوا يستغلون، غير مراعين لشعور الآخرين، ما يدعونه معرفتهم وحرياتهم المتفوقة ليزدروا ويستخفوا بضمائر أخوتهم وأخواتهم الأضعف. كما كانت الكنيسة تأكل من أطعمة مقدمة للأوثان (١ كورنثوس ٨)، مما أحدث ارتباكًا وتسبب في تأنيب بعض المؤمنين لضمائرهم. وأثناء اجتماعات الكنيسة، كان بعض المتحدثين الموهوبين يحتكرون الوقت، ويمنعون آخرين من استخدام مواهبهم الروحية. وهناك من كانوا يقاطعون آخرين أثناء حديثهم. والبعض

[38] Anthony C. Thiselton, *The First Epistle to the Corinthians,* NIGTC (Grand Rapids: Eerdmans, 2000), 1049.

كانوا يتحدثون بألسنة دون ترجمة، لذا لم يكن يعلم المستمعون ما الذي كان يُقال. لوضع حدًا لهذا السلوك المنافي للياقة، أوصى بولس «لْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ بِلِيَاقَةٍ وَبِحَسَبِ تَرْتِيبٍ» (١ كورنثوس ١٤: ٤٠).

لم يمت القبح مع كنيسة كورنثوس بل ظل ليوسم حاضرنا مثلها. أثناء خدمة العبادة بإحدى الكنائس التي كنت أزورها، كان صبيان خلفي يقاطعان في سلوك مشين خدمة مائدة الرب. كانا يقرمشان حبات المكسرات والحلوى بصوت مرتفع، ويجترعان المياه من زجاجات بلاستيكية، ومع كل رمق تصدر الزجاجة فرقعة، وكانا يتهامسان مرددين «آمين» مع الكنيسة لكن بسخرية. لقد أزعجا جميع من حولهما.

عقب الخدمة، أخبرت أحد شيوخ الكنيسة عن سلوكيهما. تنهد بإحباط، وأكد لي أنهم حاولوا معالجة هذه المشكلة قبلًا، لكن أبويهما رفضا تقويمهما. شعرا بأن من حق ابنيهما تناول الطعام والشراب أثناء الخدمة. بكل تأكيد يعد هذا السلوك مرفوضًا داخل قاعات السينما، لكن الأبوان يعتقدان أنه مقبولًا داخل الكنيسة. كانا قبيحين غير مُحبين لا يكترثان بالآخرين.

القبح ليس محصورًا في عمر أو طبقة اجتماعية محددين. قد يتسم المفكرون والمتعلمون بالقبح وعدم مراعاة شعور الآخرين مثلهم مثل غيرهم. في إحدى الجامعات المسيحية، قدم أستاذًا محافظًا محاضرة عن موضوعًا غير مألوف وغير صحيح سياسيًا. وبمجرد أن بدأ حديثه، صاح الحاضرون من الطلبة والقادة استهجانًا وعلت أصوات الصفير واستهزأوا منه. كان هذا القبح المُشين بعدم الاكتراث لمشاعر المتحدث أو معتقداته بعيد كل البعد عن المحبة. فالْمَحَبَّةُ لَا تُقَبِّحُ.

المحبة تسمو باللباقة

يهتم الأشخاص المُحبون بكيف يؤثر سلوكهم في الآخرين، حتى في الأمور البسيطة. يتسم السالكون بمحبة الله بالدقة تجاه العلاقات الاجتماعية اللائقة، والآداب العامة، والأعراف الاجتماعية، وحسن الخلق، والكياسة، والاحتشام، وحسن الحديث، وصواب الفعل. ويهتمون أيضًا بحساسية بحقيقة أن شعب بعض الكنائس قد ينزعجون إذا ارتدى الواعظ أو قائد التسبيح ملابس فضفاضة عوضًا عن ملابس رسمية. ويدركون أنه من غير اللائق أن تحضر مُدرسة مدارس الآحاد إلى الفصل بملابس غير لائقة (١ تيموثاوس ٢: ٩-١٠). ومهذبون كفاية لعدم التحدث في الهاتف أثناء خدمة الاجتماع العام للكنيسة.

تُدرك المحبة أن السلوك السيء والقبيح يقطع اجتماعات الشيوخ والشمامسة (وجميع اجتماعات اللجان الأخرى). بينما المحبة تدفع بالاجتماعات الفعالة التي بها يتم كُلُّ شَيْءٍ بِلِيَاقَةٍ وَبِحَسَبِ تَرْتِيبٍ (١ كورنثوس ١٤: ٤٠). إن الحديث عن الآخرين، وعدم الإنصات، وتجاهل آراء الآخرين، والإهانة والتهديد، والتنمر، وعدم احترام غير المتفق معك، لا يمثلون المحبة. إن مثل هذا السلوك ما من موضع له داخل قيادة الكنيسة.

بما أن المجتمعات الغربية أضحت أكثر فظاظة وغير مكترثة بالمعايير الأساسية للكياسة واللياقة الاجتماعية، فلا بد أن نقاوم قبول السلوك القبيح. فإذا لم نفعل ذلك، سيكون للأمر تأثيرًا ضارًا ومُهينًا على حياتنا وكنائسنا.

يعد هذ الأمر في غاية الأهمية خصوصًا لمُرسلي الرب يسوع المسيح إلى بلدان أخرى. كان هادسون تايلر من أعظم القادة المسيحيين على

مـر العصـور، واشـتهر كونـه قائـدًا مُحبًـا. وقـد وُثقـت قصـة حياتـه وإنشـائه لإرسـالية الصـين الداخليـة بتدقيـق.[٣٩] تمثلـت إحـدى سـمات القيـادة العديدة والقويـة لـدى تايلـور في قدرتـه عـلى التواصـل الجيـد مـع الصينيـين، بسـبب أدبـه الجـم وحساسـيته الثقافيـة. حـدث ذات مـرة واشـتكى في خطـاب مـن الافتقـار إلى اللباقـة — في الواقـع عـدم الاحـترام — التـي أظهرهـا بعـض المرسـلين لعـادات الصينيـين وأصـول لياقتهـم، التـي تعـد مـن العنـاصر المهمـة في الثقافـة الصينيـة. وينبغـي الإنصـات اليـوم لكلماتـه التاليـة:

> يبـدو أن البعـض مهـرة في القيـام بالأمـر الصحيـح بأسـوأ طريقـة أو وقـت ممكـن. دائمًـا مـا يكـون البُلـداء أو القبـاح عـن حـق بعيـدون عـن المخاطـر في الصـين؛ ومـع ذلـك لا يؤثـر الأمنـاء والمهـرة والأتقيـاء إلا طفيفًـا. إلا أن مـا مـن شيء نفشـل فيـه نحـن كإرسـالية أكـثر مـن الافتقـار إلى اللياقـة والكياسـة.[٤٠]

أوصـت إرسـالية المسـيح العظمـى (متـى ٢٨: ١٨-٢٠) إلى جميـع المسـيحيين بإرسـالية إلى جميـع أنحـاء العـالم. وقـد اسـتوعبها بولـس الـذي مـن ثـلاث خلفيـات ثقافيـة: يهوديـة ورومانيـة ويونانيـة. سـافر بولـس، الـكارز، عـبر القـارات مـن أجـل الإنجيـل وعـرف كيـف يتعامـل بلياقـة مـع الأعـراف الاجتماعيـة المختلفـة (١ كورنثـوس ٩: ١٩-٢٣؛ ١٠: ٣٢-٣٣). نحـن أيضًـا، حـين نسـافر مـن أجـل المسـيح، لا بـد أن نتحـلى بالدقـة والحساسـية لعـدم انتهـاك الأعـراف الاجتماعيـة للبلـد المُضيـف، بـل نكـون خـير سـفراء محبـة اللـه لجميـع النـاس.

إن اتبـاع طريـق المحبـة الأفضـل يعنـي أن تكـون حريصًـا بشـدة

---

[39] See A. J. Broomhall, *Hudson Taylor & China's Open Century*, 7 vols. (London: Hodder and Stoughton).

[40] Broomhall, *Hudson Taylor & China's Open Century*, vol. 5: Refiner's Fire (London: Hodder and Stoughton, 1985), 231.

فيـما يتعلـق باللياقـة واللباقـة تجـاه الثقافـات الأخـرى، واحـترام العـادات الاجتماعيــة للشــعوب المختلفــة عنــا.

الفصل الخامس

لَا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلَا تَحْتَدُّ

الْمَحَبَّةُ...لَا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلَا تَحْتَدُّ.

١ كورنثوس ١٣: ٤-٥

لا يخفي الكتاب المقدس حقيقة أنه كان بين الرسل أنفسهم مواقف أنانية وصراعات سُلطة. على سبيل المثال، طلب يعقوب ويوحنا، مفكرين فقط في أنفسهما، من الرب يسوع أن ينالا أعلى منزلتين مجدًا في الملكوت «أَعْطِنَا أَنْ نَجْلِسَ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِكَ فِي مَجْدِكَ» (مرقس ١٠: ٣٧). كان الاثنان «حاملي بطاقة عضوية نادي **الباحثين عن الذات**».[٤١] وفي الحال، أحدث مطلبهم صراعًا بين التلاميذ الآخرين، كما هي عادة الطموح الأناني. دوَّن مرقس هذا في قوله «وَلَمَّا سَمِعَ الْعَشَرَةُ ابْتَدَأُوا يَغْتَاظُونَ مِنْ أَجْلِ يَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا» (مرقس ١٠: ٤١). اغتاظوا لأنهم كانوا أيضًا باحثين عن الذات وتوَّاقين لمناصب السُلطة والمجد لذواتهم.

توضح هذه الواقعة قلة ما استوعبوه من طرق الرب، وحجم ما توجَّب عليهم تعلُّمه عن محبة وخدمة بعضهم البعض كأخوة. كتب

[41] Lewis B. Smedes, *Love Within Limits: Realizing Selfless Love in a Selfish World* (Grand Rapids: Eerdmans, 1978), 42.

جون ستوت «أراد يعقوب ويوحنا الجلوس على عرشين في قوة ومجد، في حين علم الرب يسوع أنه لا بد أن يُعلق على الصليب في ضعف وعار. شتَّان الفارق».[٤٢]

المحبة ليست أنانية

تتمحور الصفة السلبية الخامسة حول الأنانية التي تعد أصل الكثير من مشكلاتنا، وخطية غير متوافقة نهائيًا مع المحبة والقيادة المسيحية. تنص الآية الخامسة من إصحاحنا على أن المحبة «لَا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا». وهذا يعني أن هذه المحبة لا تسعى خلف مكاسبها أو منفعتها الخاصة. فالمحبة «لا تنشغل بمنفعة الذات».[٤٣] ويعد هذا الأمر بالتحديد في غاية الأهمية لأننا نحيا في عصر متأصل فيه فلسفة الفردانية. إن شعوب العديد من المجتمعات الغربية منغمسة في منافعها الذاتية. يعتبرون ذواتهم محور الكون، الذي هو من حق الله وحده. إن هذا التركيز، الغارق تمامًا في الذات، في تناقض صارخ مع المحبة المسيحية.

فلو كان الرب يسوع قد سعى خلف منفعته، فما كان هناك صليبًا. لكن الكتاب المقدس يقول «الْمَسِيحَ أَيْضًا لَمْ يُرْضِ نَفْسَهُ» (رومية ١٥: ٣). لم يأت ربنا ليُخدَّم بل ليَخدِّم «وَلَكِنِّي أَنَا بَيْنَكُمْ كَالَّذِي يَخْدُمُ» (لوقا ٢٢: ٢٧).

وبولس الرسول أيضًا لم يطلب ما لنفسه. فلو كان فعل ذلك، لما عانى كل هذا الأسى جراء نشر الإنجيل ورعاية الكنائس. لكن بسبب محبته للمسيح، والتي أظهرها بمحبته للآخرين، استطاع أن يقول «كَمَا أَنَا أَيْضًا

[42] John Stott, *The Cross of Christ* (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1986), 286.

[43] Anthony C. Thiselton, *The First Epistle to the Corinthians,* NIGTC (Grand Rapids: Eerdmans, 2000), 1050.

أُرْضِي الْجَمِيعَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، غَيْرَ طَالِبٍ مَا يُوَافِقُ نَفْسِي، بَلِ الْكَثِيرِينَ، لِكَيْ يَخْلُصُوا» (١ كورنثوس ١٠: ٣٣). «فَإِنِّي إِذْ كُنْتُ حُرًّا مِنَ الْجَمِيعِ، اسْتَعْبَدْتُ نَفْسِي لِلْجَمِيعِ لِأَرْبَحَ الْأَكْثَرِينَ» (١ كورنثوس ٩: ١٩). «لِأَنِّي لَسْتُ أَطْلُبُ مَا هُوَ لَكُمْ بَلْ ... فَبِكُلِّ سُرُورٍ أُنْفِقُ وَأُنْفَقُ لِأَجْلِ أَنْفُسِكُمْ، وَإِنْ كُنْتُ كُلَّمَا أُحِبُّكُمْ أَكْثَرَ أُحَبُّ أَقَلَّ» (٢ كورنثوس ١٢: ١٤-١٥).

لم يكن هذا بالمثال البسيط لمؤمني كنيسة كورنثوس ليحتذوه به. وفي تناقض صارخ، تمسكوا بحقوقهم وحريتهم في تناول ما يُقدم للأوثان، حتى لو أن امتلاك مثل هذه الحرية سيعذب ضمائر أخوتهم وأخواتهم الأضعف (١ كورنثوس ٨-١٠). لم يفهموا روح المحبة التي تقول «لِذَلِكَ إِنْ كَانَ طَعَامٌ يُعْثِرُ أَخِي فَلَنْ آكُلَ لَحْمًا إِلَى الْأَبَدِ، لِئَلَّا أُعْثِرَ أَخِي» (١ كورنثوس ٨: ١٣). لم يكترثوا «فَإِنْ كَانَ أَخُوكَ بِسَبَبِ طَعَامِكَ يُحْزَنُ، فَلَسْتَ تَسْلُكُ بَعْدُ حَسَبَ الْمَحَبَّةِ» (رومية ١٤: ١٥). لقد استخدموا حرياتهم ومواهبهم الفائقة لغاياتهم الأنانية عوضًا عن صالح الكنيسة بأكملها.

ولأنهم يطلبون ما لأنفسهم، لم يستوعبوا الخدمة المسيحية أو دور الخادم الذي يقوم به القائد أو المُعلم المسيحي. ربما يكون البعض من أهل كورنثوس رأى معاناة بولس وحياته المعطاءة مثالًا على الضعف والفشل. فقد كانت رؤيتهم إلى القيادة المسيحية نظرة قوة وتسلُط، لا ضعف وخدمة؛ لذلك شككوا في رسوليته. ولا تزال هذه المفاهيم الخاطئة عن القيادة المسيحية الحقة حاضرة إلى يومنا هذا.

المحبة باذلة للذات

ألد أعداء الراعي هو القلب الأناني. من نماذج العهد الجديد الرائعة على القائد والمُعلم المُحب نجد برنابا. لم يكن برنابا طالبًا لعرش لمجلسه. قال عنه لوقا إنه كان «رَجُلًا صَالِحًا وَمُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ

الْقُدُسِ وَالْإِيمَانِ» (أعمال الرسل ١١: ٢٤). فمعنى أنه كان ممتلئًا بالروح القدس، أنه اتسم بالمحبة (غلاطية ٥: ٢٢) وجميع صفاتها المذكورة في ١ كورنثوس ١٣: ٤-٧.

المرة الأولى التي صادفنا فيها برنابا في العهد الجديد حين باع حقلًا وقدم ثمنه لفقراء كنيسة أورشليم (أعمال الرسل ٤: ٣٦-٣٧). فالكرم مع الآخرين يفيض تلقائيًا من المحبة. ومثلما قال روبرت لو «المحبة هي الدافع».[٤٤]

لكن الأكثر إثارة في برنابا هو كيف شارك منصبه القيادي وخدمته مع بولس. لقد أرسل قادة كنيسة أورشليم برنابا ليُساعد كنيسة أنطاكية المؤسسة حديثًا. لقد كان مكانًا مثيرًا للتواجد فيه. كان الله يصنع أمورًا جديدة بين الأمم، وبرنابا كان في محور الحدث. لكنه فكَّر فيما هو أفضل للكنيسة الجديدة من شهرته وأمنه.

ولإيمانه أن الكنيسة في احتياج لمواهب بولس الاستثنائية، سافر برنابا، في بذل ذاتي مُضن، إلى مدينة طرسوس ليبحث عن بولس ويدعوه ليُعلِّم في كنيسة أنطاكية. هذا معناه أن برنابا تقاسم دوره كمُعلم وقائد مع بولس الذي كان أقوى موهبة. لقد دفع بولس إلى الأمام، ولاحقًا صار بولس المُعلم والقائد الأبرز. وكما أشار أحد الوعاظ بجدارة أن «برنابا لم يكن خادمًا دنيئًا». لم يكن عليه الانفراد بالخدمة أو نوال كل المجد. برنابا لم يكن طالبًا للعرش؛ برنابا كان غاسلًا للأقدام (يوحنا ١٣: ١٤). كان مُقدمًا للآخرين، لا مانعهم (أعمال الرسل ١١: ١٩-٢٤). كان معطاءً لا آخذًا. كانت محبته «تعطي كل شيء» لا «تأخذ كل شيء».[٤٥]

---

[44] Robert Law, *The Tests of Life: A Study of the First Epistle of St. John* (Edinburgh: T&T Clark, 1914), 72.

[45] I. Howard Marshall, *The Epistles of John,* NICNT (Grand Rapids: Eerdmans, 1978), 126.

كان برنابا قائدًا ومُعلمًا مسيحيًا مُحبًا حقًا. لم يكن غيورًا من بولس أو متباهيًا بمكانته الرسولية أو الروحية. لم يكن قبحًا أو حادًا أو أنانيًا، بل بذل نفسه من أجل منفعة الآخرين. فلا عجب أن يلقبه الناس «بابن الوعظ» (أعمال الرسل ٤: ٣٦؛ ١١: ٢٣). لقد جسَّد شعار «تتحقق الأمور حين لا تكترث إلى من سيعود الفضل». لقد تحققت أمورًا عظيمة في كنيسة أنطاكية من خلال برنابا وبولس — ويستمر تحقيقها في كنيسة الحاضر — بسبب القادة والمعلمين الباذلين غير الأنانيين.

أما برنابا العصر الحالي فهو جون ستوت، الراعي الأسبق لكنيسة جميع النفوس (All Souls) في إنجلترا، والقسيس الفخري لملكة إنجلترا، ومؤلف العديد من تفسيرات الكتاب المقدس الرائعة. يروي أستاذ للإرساليات أنه أثناء سيره داخل أحد المطارات، رأى مُسنًا جالسًا يكتب داخل كنيسة المطار وبجانبه كومة ضخمة من الرسائل. كان هذا جون ستوت. ومثل الراعي المُحب، كتب مشجعًا العديد من الناس، خاصة الشباب منهم. ومثل برنابا، اشتهر جون ستوت كونه خادمًا لله عطوفًا شارك تعليمه وقيادته في الخدمة مع آخرين.[٤٦]

كشف أحد زملاء ستوت — الأمريكيين من أصول لاتينية الذي ترجم له إلى الإسبانية أثناء أحد أحاديثه في كوبا — عن اتضاع قلبه الخادم قائلًا:

> ... بعد أن قضيت خمسة أيام أترجم له [جون ستوت]، دعاني لأشاركه رصد الطيور، لكنني سقطت مريضًا بشدة. يا له من امتياز أن يطعمني، ويعتني بي، ويصلي عليَّ، ويعزيني، ويخدمني بعطفه ومحبته. صُورَ لي أن عاملات غرف الفندق

[46] Timothy Dudley-Smith, *John Stott: A Global Ministry* (Leicester, England: InterVarsity, 2001), 21.

الـذي كنـا نُقيـم فيـه ظنـوا إننـي حتـمًا شـخصًا في غايـة الأهميـة حتـى أن يعتنـي بي شـخصًا بـارزًا أبيضًـا أنجلوسكسـونيًا — حدثًـا لم يـروه مـن قبـل.[٤٧]

يقـدم القـادة والمعلمـون المُحبـون، سـواء كانـوا معلمـي مـدارس الآحـاد أو كارزيـن، وقتهـم وطاقتهـم وممتلكاتهـم لمسـاعدة الآخريـن بـكل بـذل بغـير أنانيـة. يضعـون أنفسـهم في خدمـة الاخريـن، ويصلـون إلى المحتاجـين، ويتجاهلـون أنفسـهم وينبذونهـا دائمًـا. لا ينتمـون لأنفسـهم ولا يكترثـون إذا عوملـوا بظلـم ولا يعـيرون اهتمامًـا لمجازاتهـم أو شـكرهم امتنانًـا عـما قامـوا بـه. إنهـم أتقيـاء لا ينظـرون لمنفعتهـم وحسـب، بـل لمنفعـة الآخريـن أيضًـا (فيلبـي ٢: ٤).

الْمَحَبَّةُ لَا تَحْتَدُّ

مـن أبـرز صفـات المحبـة هـي أنهـا لا تحتـد جـراء أي شـعور بالغضـب. «فهـي محبـة هادئـة مُسـالمة». تعـد هـذه مـن الفضائـل العمليـة للغايـة للقائـد الـذي يتسـم بهـا. مـن المعتـاد أن يتعامـل القائـد مـع الكثـير مـن المواقـف الصعبـة التـي تعتـبر وقـودًا تدفعـه إلى الغضـب وسرعـة الانفعـال والإسـاءة والشـعور بالمـرارة والاسـتياء. هـذا سـبب في أن إحـدى الصفـات الكتابيـة للشـيخ هـي ألا يكـون غضوبًـا (تيطـس ١: ٧). لا يمكـن للرعـاة قتـل أو ركل الخـراف لأنهـم غاضبـون.

هـذا لا يعنـي أن القائـد لا يغضـب أو ينفعـل مطلقًـا عـلى النـاس. الكتـاب المقـدس لم يقـل إن المحبـة لا تغضـب، بـل يقـول لا تغضـب بسـهولة (تحتـد) ولا تكـون سريعـة الانفعـال. هنـاك غضـب مقـدس ومتزنًـا مدفوعًـا

[٤٧] المصدر السابق، ٤٥٤.

بالمحبة ويعارض الشر والبُطل الذي يدمر الرعية هدرًا.[٤٨] لكن المحبة لا تُثار للتدمير جراء دوافع خاطئة. يقول جوناثان إدواردز إن «قلب الإنسان عرضة بإفراط للغضب غير المُبرر والشرير، مُتسمًا بطبيعته الممتلئة بالكبرياء والأنانية».[٤٩] فالغضب لا يتوافق مع المحبة.

يخبرنا أحد الأساتذة بإحدى كليات اللاهوت أنه كان في أحد المطاعم برفقة أحد الرعاة وقد سكبت النادلة خطأ المياه على سترة الراعي. اندفع الراعي غاضبًا على النادلة ساخطًا عليها استيائه. عقب تجفيف السُترة، مال الأستاذ إلى الراعي وهمس له قائلًا «ينبغي أن نشهد لها بمحبة المسيح». وقد فهم الراعي الرسالة.

لشَعَرَ القلب المُحب (مثل قلب المسيح) فورًا بالرأفة على النادلة، وفكر في مشاعرها أكثر من السُترة الملطخة. ولسعى إلى تخفيف وطأة الموقف وطمأنتها. ولتحولت الواقعة بسهولة إلى شهادة إيجابية عن محبة المسيح. لكن فكر الراعي في ذاته وفي سترته. كان من السهل إثارة غضبه.

فخارج الكنيسة، مثل هؤلاء القادة يسيئون للمسيح ويسيئون سمعة شعبه وسط العالم. وداخل الكنيسة، يسهل رؤيتهم محتدين بغضب على الرعية ويُخيفونهم ويجرحونهم ويقسمونهم. فهم دعاة صراعات ومُثيريها.

لا ينظر الغاضبون إلى الآخرين بل إلى مشاعرهم هم ومشكلاتهم. حين يغضب القادة تكثر المشكلات المتفاقمة وغير الواضحة والمُساء فهمها، ويختفي كلا من الموضوعية والمنطق. حين يُسيطر الغضب،

---

[٤٨] عدد ١٦: ١٥؛ مزمور ٧: ١١؛ ناحوم ١: ٢، ٦؛ يوحنا ٢: ١٣-١٧؛ أفسس ٤: ٢٦.

[49] Jonathan Edwards, *Charity and Its Fruits* (1852; reprint ed., Edinburgh: Banner of Truth, 1978), 201.

تتضخم المسائل البسيطة لتصبح مشكلات متفجرة تستطيع تحويل الكنيسة إلى شظايا. إنني على يقين **بأن أضرارًا جسيمة تُصيب كنائسنا بسبب الغضب الجامح بينما لا نقر بذلك**. يا لها من مشكلة خطيرة.

يتفنن الشيطان في استغلال الغضب لتخريب الكنائس والعائلات، كما يدفع كثيرًا بقادة أتقياء لتدمير آخرين. ما من أحد منا مُحصن من تجريح الناس بغضبه. أشار هنري دراموند إلى الغضب أنه «رزيلة الفضائل». تأمل كيف نسرع إلى تخفيف وطأة غضبنا المنفجر في وجه الآخرين وتبريره:

> نحن نميل إلى النظر إلى الغضب المُحتد كما لو أنه ضعف غير مؤذ.... ولكن هنا، حسب لُب هذه الدراسة التفصيلية عن المحبة، يحدث الأذى؛ ومرارًا وتكرارًا ما يدينه الكتاب المقدس كأحد أكثر عناصر الطبيعة البشرية تدميرًا.
>
> **تكمن فرادة الغضب المؤذي في إنه ضد الفضيلة. وغالبًا ما يكون الوصمة في الشخصية الخلوقة.** قد تعرف رجالًا ونساءً يصلون لدرجة عالية من الكمال، لكن يعيبهم سرعة الغضب الجامح أو الطبع شديد التأثر سلبًا. فتوافق الغضب المحتد مع الخُلق السامية يعد من أغرب المشكلات الأخلاقية وأردأها.[٥٠]

بصفتنا مسيحيين، حين نواجه صراعًا أو ألمًا في العلاقات يجب أن ننقاد بالروح القدس ونضبط أنفسنا (غلاطية ٥: ٢٢-٢٣). إن الغضب الجامح من عمل الجسد والشيطان (غلاطية ٥: ١٩-٢٠؛ أفسس ٤: ٣٠-٣٢). من الأقوال المأثورة إنه حين تروي الزهرية، ما بداخلها هو ما سينبت. حين تتعامل مع شخص بغيض أو طائش، أو مجرد شخص

[50] Henry Drummond, *The Greatest Thing in the World* (1874, reprint ed., Burlington, ON: Inspirational Promotions, n.d.), 21–22.

يختلف عنك في نظرته إلى الأمور، ما الذي يخرج منك؟ فمن قلبك ارفع هذا الأمر إلى الله دون أن تحمل أي تبرير ذاتي.[٥١] يقول الكتاب المقدس «لِيَكُنْ كُلُّ إِنْسَانٍ ... مُبْطِئًا فِي الْغَضَبِ، لِأَنَّ غَضَبَ الْإِنْسَانِ لَا يَصْنَعُ بِرَّ اللهِ» (يعقوب ١: ١٩-٢٠).

المحبة هادئة وبطيئة الغضب

لا يحتد القادة المُحبون جراء أي خلاف صغير أو إحباط. والسبب في ذلك هي أن المحبة، كما رأينا، تتأنى، أي يطول تحمل المحبة لأخطاء الآخرين. إن الذي يسيطر على غضبه أثناء المواقف التي عرضة للانفجار، ويطبب المشاعر الجريحة، هو رجل «بَطِيءُ الْغَضَبِ يُسَكِّنُ الْخِصَامَ» (أمثال ١٥: ١٨).

يخبرنا مارتن لويد جونز كيف كان هادسون تايلر بطيء الغضب والحدة. حين كان تايلر في الصين، كان واقفًا على ضفة أحد الأنهار الواسعة ونادى قاربًا يأخذه إلى الضفة المقابلة. وحين وصل القارب إلى الشاطئ، أسرع أحد الأثرياء من خلف تايلر ليستقل القارب، فدفع تايلر جانبًا بقوة حتى أنه وقع في الوحل. ارتعد النوتي مما شاهده ورفض السماح للثري بأن يصعد للقارب، لأن تايلر أول من نادى طالبًا القارب، وإنه أجنبي له حق المعاملة بإكرام حسب التقاليد الصينية. لم يدرك الثري أن تايلر أجنبيًا بسبب ملابسه الصينية. فبمجرد أن أدرك فعلته، اعتذر. لم يكن رد فعل هادسون تايلر غضوبًا أو محتدًا، بل بكرم

[٥١] يقول جوناثان إدواردز: «كثيرًا ما [اعتاد] البشر أن يصفوا غيرتهم على الدين والواجب وتمجيد الله أنها السبب وراء سخطهم، في حين أن منفعتهم الخاصة وحدها هي ما يهتمون بها وما تأثرت. من اللافت للنظر كيف يظهر البشر وكأنهم متحمسين لله وللبر، في المواقف التي أهينت فيها كرامتهم أو إرادتهم أو اهتمامهم، ثم يظهرون ذلك بإهانة الآخرين أو بالشكوى منهم».
Edwards, *Charity and Its Fruits,* 198.

دعا الثري لمرافقته على متن القارب وشهد له عن محبة المسيح.[٥٢] لقد استجاب لموقف استفزازي حسب «الطريق الأفضل».

[52] D. Martyn Lloyd-Jones, *Studies in the Sermon on the Mount,* 2 vols. (Grand Rapids: Eerdmans, 1971), 1:28–82.

الفصل السادس

لَا تَظُنُّ السُّوءَ، وَلَا تَفْرَحُ بِالْإِثْمِ

الْمَحَبَّةُ... لَا تَظُنُّ السُّوءَ، وَلَا تَفْرَحُ بِالْإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ.
١ كورنثوس ١٣: ٥-٦

بالرغم من شخصية أر. سي. تشابمان الودودة، لكنه تقابل مع بعض الأشخاص الذين كانوا يزدرونه. على سبيل المثال، كان في مدينة بارنستبل بقالًا منزعجًا بشدة من كرازة تشابمان في الهواء الطلق حتى إنه بصق عليه ذات مرة. فلعدة سنوات استمر هذا البقال في الهجوم على كرازة تشابمان في الهواء الطلق ومقاطعته. لكن تشابمان استمر في خدمته، وحين أقبلت الفرصة بنفسها، امتدت وباركت البقال.

أتت الفرصة حين حل أحد أقارب تشابمان الأثرياء لزيارته. واتخذت الزيارة بعدًا أعمق من كونها دعوة اجتماعية. رغب القريب في مشاهدة خدمة ضيافة تشابمان وإعانة فقراء المدينة. وعقب زيارة تفقدية، طلب القريب ما إذا في إمكانه شراء سلع بقالة من أجل الخدمة. وافق السيد تشابمان بفرح، وأصر على أن يتم الشراء من متجر بقالة بعينه، المتجر الخاص بالبقال الذي لطالما يقذفه بأقذع العبارات.

ذهب القريب حسب الطريق الذي وُصف له، غير عالم بالعلاقة الراهنة بين البقال وتشابمان. انتقى كمية ضخمة من الأطعمة ودفع

ثمنها، وقال للبقال أود إرسالهم إلى روبرت تشابمان. أخبره البقال المصدوم إنه حتمًا أتى إلى المتجر بالخطأ، لكن القريب وضح له أن تشابمان هو من أرسله إلى هذا المتجر بالتحديد. لم يتأخر البقال على الوصول إلى منزل السيد تشابمان حيث انهمرت دموعه وطلب الصفح. وفي هذا اليوم سلم البقال حياته للمسيح.

كتب روبرت تشابمان يقول «المغفرة دون تأنيب، سواء بالمعاملة أو بالنظر، أسمى سلوكيات النعمة — فهي امتثال بالمسيح».[٥٣]

المحبة لا تخفي أحقادًا ولا تسعى إلى الثأر

من الخواص الأخرى السامية والمُخلِّصَة للمحبة هي إنها لَا تَظُنُّ السُّوَءَ. فمعناها الحرفي إنها محبة «لا تحتسب الشر». شرح المُفسر ديفيد جارلاند الصورة البلاغية المنقولة في الكلمات التالية: «المحبة لا تحتفظ بأسفار من الشر.... إنها تشبيه عن حفظ سجلات من الأخطاء بهدف الثأر جراء الأذى».[٥٤] المحبة لا تخبئ أحقادًا ولا تسعى إلى الثأر. فهي لا تحتفظ «بملف خاص من المظالم الشخصية التي يمكن تفتيشها وتأجيجها حينما تسنح فرصة للازدراء».[٥٥]

روى جاي آدمز، مُشير مسيحي ومؤلف العديد من الكتب عن المشورة، قصة زوجين مُثقلين بالمشكلات ذهبا لأحد المُشيرين المسيحيين طلبًا للمساعدة. وقد أشار طبيب الزوجة عليها بأن تبحث عن مُشير، لأن جسمها كانت تظهر عليه قرحة ليس لها أي مُسبب جسدي. وأثناء

---

[53] Robert L. Peterson and Alexander Strauch, *Agape Leadership: Lessons in Spiritual Leadership from the Life of R. C. Chapman* (Colorado Springs: Lewis & Roth, 1991), 39.

[54] David E. Garland, *1 Corinthians*, BECNT (Grand Rapids: Baker, 2003), 618–19.

[55] D. A. Carson, *Showing the Spirit: A Theological Exposition of 1 Corinthians 12–14* (Grand Rapids: Baker, 1987), 62.

إحـدى جلسـاتها مـع المشـير، وضعـت أمامـه عـلى مكتبـه كشـكولًا «يبلـغ سـمكه ٢,٥ سـم ومقـاس ورقـه ٨,٥ سـم x ١١ سـم، دونـت عـلى وجهتـي كل ورقـة ... سـجلًا لأخطـاء زوجهـا إليهـا عـلى مـدار ثلاثـة عـشر عامًـا».[٥٦]

تمكَّـن المُشـير في الحـال مـن رؤيـة نقمـة الزوجـة مـن أخطـاء زوجهـا العديـدة، وتوثيقهـا الدقيـق لـكل فعـل أحسَّـها بالمـرارة. وحفظهـا بسـجل لأخطـاء زوجهـا لم يفعـل سـوى إنـه طـور الأمـور لدرجـة إنـه تسـبب في مرضهـا جسـديًا. ومـن حكمـة المُشـير إنـه ذكرهـا بالإصحـاح ١٣ مـن رسـالة كورنثـوس الأولى، مشـددًا عـلى أن المحبـة لا تحتفـظ بسـجل لأخطـاء الآخرين التـي عانينـا منهـا.

إن الحريـة مـن عـدم الاحتفـاظ بسـجل الأخطـاء التـي عذبتنـا أمـر حيـوي للمحبـة. جُـرح جميعنـا مـن شرور آخريـن، وصارعنـا مـع الغفـران، ولقـد اضطررنـا جميعًـا إلى نسـيان الذكريـات السـيئة وإخـماد نـيران الثـأر لـكي نتصالـح مـع مـن أذونـا. مـا مـن طريـق يمكننـا مـن الحيـاة بسـعادة معًـا في الـزواج أو مـع أي مؤمـن آخـر في الكنيسـة المحليـة بـدون هـذه الصفـة للمحبـة. إذا رفضنـا نسـيان جـراح مشـاعرنا، واسـتمتعنا بتهييـج جروحنـا، وإذا شـعرنا بحتميـة رد الصـاع إلى أعدائنـا، سـنغرق في بـئر المـرارة والغضـب والقصـاص. سـنتحول لأمثلـة بائسـة، وقـادة خاملـة تخـدم المسـيح.

المحبة تغفر

عـانى جميـع رجـال اللـه ونسـائه البارزيـن عـبر العصـور مـن ظلـم بَـيِّن وهجـوم شرس، لكنهـم اسـتغلوا فرصـة التحـلي بالمغفـرة عوضًـا عـن النقمـة. فـما مـن عـذر لمقابلـة الـشر بالـشر أو لتدمـير حيـاة الآخـر (رومية ١٢: ٢١). فـأن تُجـرح هـو في الواقـع فرصـة لطاعـة «الوصيـة الجديـدة»، وللسـير في

[56] Jay E. Adams, *Christian Living in the Home* (Grand Rapids: Baker, 1972), 33.

طريق المحبة الملوكي، ولإطعام عدوك والعناية به، وأن «تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ»، و«اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ» (رومية ١٢: ١٤، ١٩-٢١). إنها فرصة للمعاناة من أجل الرب وللتمثل بمحبة الله الغافرة: «مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ.... فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِاللهِ كَأَوْلَادٍ أَحِبَّاءَ، وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضًا وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا» (أفسس ٤: ٣٢-٥: ٢).

يا للمحبة من قوة قديرة تتغلَّب على الشر، وتسدل الستار على الذكريات الأليمة، وتغفر، وتتخلى عن الثأر، وتقمع النقمة. هي المحبة التي كتب عنها لويس سميدس قائلًا:

> لا تضطر لتوضيح كل سوء الفهم. وفي قوتها، تصير تفاصيل الماضي غابرة. ... من حسابات غير مدفوعة، واختلافات قائمة، وكشوف حسابات متباينة. وصراع قائم بين ذكريات الناس عن كيف وقعت الأمور؛ يظل الماضي مشوشًا. ... تُفَضِّل المحبة جمع جميع النهايات المفتوحة لصواب الماضي وأخطائه داخل أحشاء الغفران، وتدفعنا إلى بداية جديدة. ... إن الانتقال إلى حياة المصالحة من أصعب الانتقالات التي يُطلب من الإنسان اتخاذها. لكن المحبة هي القوة اللازمة للقيام به.[٥٧]

إن اختيار طريق المحبة لا يعني إننا لن نشعر بألم الظلم النفسي أو المعاناة من الغضب أو الذكريات السيئة. بل ستشعر بهم. مع ذلك، إن اختيار سلوك «الطريق الأفضل» يعني أننا نطلب، بقوة الروح القدس داخلنا ومعونته، التعامل بصدق مع جراحنا النفسية. فنحن نغفر للآخرين تمامًا مثلما يغفر لنا المسيح كثيرًا. ونسعى لفهم الإنسان

[57] Lewis Smedes, *Love within Limits: Realizing Selfless Love in a Selfish World* (Grand Rapids: Eerdmans, 1978), 78–79.

الـذي سـبب لنـا جُرحًـا، ونعـترف بارتكابنـا الأمـر ذاتـه ضـد آخريـن. ونعترف بسـلوكيتنا الشريـرة، ورثـاء ذاتنـا، وقلوبنـا الدَيَّانَـة. وننظـر إلى الأمـور مـن وجهـة نظـر اللـه، ونرفـض الانصيـاع للتقاتـل. ونصـلي، ونذهـب إلى الآخـر طالبـين قبـول وشـفاء حقيقيـين.

يزخـر الكتـاب المقـدس بأمثلـة عديـدة عـن قـوة المحبـة الغافـرة. عـلى سـبيل المثـال، فـور مـا سـمع داود ورجالـه أن شـاول الملـك، الـذي حـاول قتلـه عـدة مـرات، قُتـل في المعركـة «نَذَبُـوا وَبَكَـوْا وَصَامُـوا إِلَى الْمَسَـاءِ عَـلَى شَـاوُلَ وَعَـلَى يُونَاثَـانَ ابْنِـهِ» (٢ صموئيـل ١: ١٢). لم يشـمت داود في مـوت شـاول، عـلى الرغـم مـن أنـه لـو كانـت غالبيـة البـشر في موقـع داود لكانـوا رقصـوا فرحًـا. وعـلى الصليـب صـلى الـرب يسـوع «يَـا أَبَتَـاهُ، اغْفِـرْ لَهُـمْ، لِأَنَّهُـمْ لَا يَعْلَمُـونَ مَـاذَا يَفْعَلُـونَ» (لوقـا ٢٣: ٣٤). كـما صـلى اسـتفانوس، أول شـهداء المسـيحية، مسـامحًا قاتليـه «يَـا رَبُّ، لَا تُقِـمْ لَهُـمْ هَـذِهِ الْخَطِيَّـةَ» (أعـمال الرسـل ٧: ٦٠).

يسـتمر المؤمنـون في تقديـم الأمثلـة لنـا عـن قـوة المحبـة الغافـرة. عـلى سـبيل المثـال، عقـب مقتـل جيـم إليـوت ورفقائـه الأربعـة (بيـت فليمنـج، وروجـر يودريـان، وإد ماكـولي، ونيـت سـاينت) عـلى يـد قبيلـة أوكا الهنديـة في غابـات الأمـازون بـشرق الإكـوادور، لم تسـعى زوجتـه أو زوجـات رفقائـه الأربعـة إلى الثـأر، بـل إلى المحبـة والغفـران. نقـل المراسـل الـذي شـهد عـلى ردة فعلهـن عـلى خـبر أزواجهـن قائـلًا:

> آمنـت الأرامـل أن مقتـل أزواجهـن لم يكـن بتلـك المأسـاة العبثيـة التـي ظنهـا الكثـيرون. ولم يخطـر ببالهـن الثـأر لهـم؛ بـل عـلى النقيـض، شـعرن بشـعور متزايـد نحـو الـضرورة المُلحـة لإيصـال رسـالة المحبـة والفـداء إلى شـعب الأوكا.[٥٨]

[58] Elisabeth Elliot, *The Savage My Kinsman* (Ann Arbor, MI: Servant Books, 1981), 6.

ولاحقًا، كتبت إليزابيث إليوت قائلة:

> منحني هذا رغبة شخصية عارمة لأصل إليهم. فإن حقيقة أن الرب يسوع المسيح مات من أجل الجميع تحمسني لخلاص الجميع، لكن حقيقة أن جيم أحب شعب الأوكا ومات من أجلهم تقوي محبتي تجاههم.[٥٩]

بعد قرابة الثلاث سنوات من مقتل الخمسة مُرسلين الشباب، انتقلت إليزابيث إليوت وراشيل ساينت إلى إحدى قرى قبيلة الأوكا، وهنَّ أول أجنبيتين تعيشان وسط هذا الشعب العنيف. صارت هاتان المرأتان صديقتان وكارزتان بالإنجيل للأشخاص عينهم الذين قتلوا زوجيهما. أما اليوم ونتيجة لهذه المواجهات الأولى وعمل المرسلين اللاحقين، تُرجم العهد الجديد وتأسست كنيسة. يا لها من قصة مثيرة عن المحبة والمغفرة المسيحيتين.

اشتهرت كلارا بارتون — مؤسسة هيئة الصليب الأحمر في أمريكا والمُلقبة «بملاك ساحة القتال» —بشجاعة قلب الأسد وبشخصية نبيلة. ومثل أي شخصية بارزة أخرى، تعرضت للهجوم. حين ذكَّرتها إحدى صديقاتها بهجاء أحدهم عملها، فلم تتذكر هذا. قالت لها صديقتها متفاجئة «ألا تتذكرين ذلك؟» كانت إجابتها في غاية الروعة قائلة «كلا، أتذكر بوضوح نسيانها». فالمحبة نقطة نسيان الأخطاء التي نعاني منها.

روى الواعظ الأمريكي من أصول أفريقية والمصلح الاجتماعي جون بِركِنز عن قسوة الضرب الذي تعرض له هو وأصدقاء آخرين والتعذيب حتى أشرفوا على الموت داخل أحد السجون في ميسيسِبي لمحاولتهم مساعدة السود على الحصول على المساواة الاجتماعية

---

[٥٩] المصدر السابق، ٩.

والاستقلال الاقتصادي. على مدار ساعات متواصلة تعرض للركل المبرح والدعس بالأقدام والضرب بالهراوات والعصي حتى نزف وفقد وعيه، كما صوب ضباط الشرطة السكارى مسدسًا فارغًا من الرصاص نحو رأسه وجذبوا الزناد ساخرين منه، وأقحم أحد الضباط شوكة طعام في حلقه عنوة. لقد سكبوا جام كراهيتهم القميئة. بعد عامين، كان جون منتظرًا العدالة الأرضية، وفي فترة النقاهة عقب جراحة بالمعدة حين كان مستلقيًا على الفراش، تذكر المعاناة التي مر بها وما سيكلفه الله به ليفعله. فكتب:

بدأت أرى في رعب إلى أي مدي تستطيع الكراهية تدميري — تدميري على نحو أكثر خرابًا ومفاجئة من أي تدمير قد أوقعه أنا على من أذوني. كان في استطاعتي الثأر مثلما فعل الكثيرون من أخوتي. لكن لو إني ارتكبت ذلك، فما وجه اختلافي عن العرق الأبيض الذي يكرهنا؟

وإلى أين ستقودني الكراهية؟ يستطيع أي إنسان أن يكره. فهذه الكرة الدائرة بين البغضة والبغضة المضادة ... هي ما تُبقي على استمرار دائرة العنصرية المفرغة.

عمل داخلي روح الله وأنا مستلقي على الفراش. فبزغت صورة في ذهني، صورة الصليب — المسيح مرفوع على الصليب. محت جميع ما كان في ذهني.

علم الرب يسوع جميع ما عانيته. فهو مدرك ذلك. ومهتم بي. لأنه هو ذاته قد ذاقه.

... وصلى إلى الله ليغفر لهم قائلًا «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ».

لم أستطع تجاهل أن أعدائه كانوا كارهين، لكنه، الرب يسوع، كان مسامحًا.

ظل روح الله يعمل فيَّ وداخلي حتى استطعت أن أردد مع الرب يسوع «أغفر لهم أنا أيضًا». عاهدته أن «أقابل الشر بالخير» لا الشر بالشر. كما منحني المحبة التي أدركت إني سأحتاجها لأطيع وصيته لي بأن «أحب أعدائي».

وبفضل المسيح، قابلني الله ذاته وشفى قلبي وعقلي بمحبته.

... أعانني روح الله أن أؤمن بصدق بما اعتدت الاعتراف به، بأن في محبة المسيح وحدها لي رجاء كما للذين خدمتهم بأناة قبلًا.[٦٠]

إن الحياة المُعاشة حسب «الطريق الأفضل» لا تحتفظ بسجل ليومي عن المظلوميات والإساءات النفسية، ولا تضع خططًا للثأر. بل «المحبة لا تكل ولا تمل النسيان».[٦١] فالمحبة تغفر وتبارك المذنبين إلينا.

الْمَحَبَّةُ لَا تَفْرَحُ بِالْإِثْمِ

تمنحنا الصفة الثامنة، الصفة السلبية الأخيرة، حسن الختام لهذه الجزئية بأن المحبة «لَا تَفْرَحُ بِالْإِثْمِ» (١ كورنثوس ١٣: ٦). كتب ليون موريس أن «المحبة لا تفرح بالشر مهما كان دافعه أو مقصده».[٦٢] يستحيل أن تجد المحبة مسرة مشوهة في الظلم أو الشر، لأن مثل جميع هذه السلوكيات

[60] John Perkins, *Let Justice Roll Down* (Glendale, CA: Regal Books, 1976), 204–06.

[61] W. Graham Scroggie, *The Love Life: A Study of 1 Corinthians 13* (London: Pickering & Inglis, n.d.), 44.

[62] Leon Morris, *The First Epistle of Paul to the Corinthians*, TNTC (Grand Rapids: Eerdmans, 1958), 185.

تجرح الناس وتُهين الله. كما أنها لا تتعاطف مع أي شر. فالسالكون في «طريق المحبة الأفضل» «كَارِهِينَ الشَّرَّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ» (رومية ١٢: ٩).

في العالم الدنيوي كثيرًا ما يُقال «لِلشَّرِّ خَيْرًا وَلِلْخَيْرِ شَرًّا» (إشعياء ٥: ٢٠)، وللأسف يغمره الفرح ويوافق على الإثم (رومية ١: ٣٢). لكن من المفاجئ مدى فداحة مسرة المتدينين بارتكاب الإثم. إن مدبري هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ على مركز التجارة العالمي في مدينة نيويورك والتي قتلت وروعت آلاف الأبرياء، تلذذوا بمهمتهم للقتل. وفي أرجاء العالم، احتفل البعض رقصًا علنًا، وآخرون تشفوا سرًا. فباسم الله والدين يكذب الناس ويقتلون ويشنون حروبًا.

نجد أيضًا بعض المسيحيين الكتابيين يسرون بالإثم. على سبيل المثال، أعلن أحد الرعاة الإنجيليين بسرور من على المنبر موت أحد الأخوة في المسيح فجأة والذي كان معارضًا لخدمته، مُصرحًا أن موته هو قضاء من الله. ونرى تفاخر إحدى الشماسات أمام أصدقائها بنجاحها في طرد أربعة رعاة من خلال حملات المكالمات الهاتفية وكتابة الخطابات التي قامت بها. وننظر تباهي أحد الشيوخ باستمتاعه في صراعه مع راعي كنيسته وإهانته وتدمير خططه من أجل الكنيسة. ونشاهد مسرة أحد الرعاة حين سمع ببلية من غادروا كنيسته. إن هذه «المسرات الشريرة» تُحزن روح الله القدوس بشدة (أفسس ٤: ٣٠). فهي، بكل صدق، ليست سلوك السالكين حسب «طريق المحبة الأفضل».

كان سكورجي دقيقًا للغاية حين قال «ما يُسر المرء برهان ناصع على شخصه. فابتهاجه بإعلاء الشر أو مسرته في بلية الآخرين، يعد مؤشرًا على انحدار أخلاقي سحيق».[٦٣]

---

[63] Scroggie, *The Love Life,* 45.

إن المُحبين لا يستمتعون بمشاعر الاستعلاء على الآخرين. ولا يبتهجون بالنميمة الفاضحة، ولا يرضون بسماع الخطايا الدنيئة للقادة المسيحيين، الذين لا يروقون لهم، وأخبار سقوطهم. ولا يشمتون في فضائح ارتكبتها بعض الطوائف التي كانوا ينتمون إليها قبلًا، ولا يستمتعون بحقيقة المصائب التي وقعت على من غادروا كنيستهم. ويستحيل فرحهم بكارثة تحل على أمة، يحتقرونها، وأوقعت آلاف الموتى. ولا يحتفلون باستنكار أو انتقاد سقطات مسيحيين آخرين وأخطائهم. وإذا تحتم عليهم كشف سلوك خاطئ ومواجهته، يقومون بذلك بمحبة وحزن حقيقي من القلب.

يتمثل القادة المحبون بمثالي أيوب وداود. كان أيوب شيخًا لجماعته مُحبًا استطاع أن يشهد بصدق إلى لائميه قائلًا «إِنْ كُنْتُ قَدْ فَرِحْتُ بِبَلِيَّةِ مُبْغِضِي أَوْ شَمِتُّ حِينَ أَصَابَهُ سُوءٌ» (أيوب ٣١: ٢٩). وداود لم يُسر بانتصاره على أعدائه. فلم يُسر بالفرص التي أتته لقتل شاول، عدوه اللدود (١ صموئيل ٢٤: ١-٧). وفي أكثر من فرصة أتت لداود كان يستطيع فيها قتل شاول الملك بسهولة، اختار داود استبقاء حياته. حتى أن شاول أُجبر على الاعتراف لداود قائلًا «أَنْتَ أَبَرُّ مِنِّي، لِأَنَّكَ جَازَيْتَنِي خَيْرًا وَأَنَا جَازَيْتُكَ شَرًّا» (١ صموئيل ٢٤: ١٧). لم يستوعب شاول إطلاقًا محبة داود المثيرة للإعجاب له ولأسرته. إن القادة ضيقي الأفق والغيورين لا يصدقون الآخرين حتى يثبت العكس، فهم لم يعتادوا حسن الظن فيهم.

الْمَحَبَّةُ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ

يضيف بولس إلى الصفة السلبية الأخيرة «الْمَحَبَّةُ لَا تَفْرَحُ بِالْإِثْمِ» نقيضتها الإيجابية «الْمَحَبَّةُ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ». إن القلب المُحب يحزن من

ارتكاب الإثم لأنه يدمر البشر ويُغضب الله. بينما الحق يمتلك التأثير المناقض فيدفع المحبة لتغني فرحة مثل طائر صباح يوم صيفي. كما أن المحبة تدرك سريعًا السلوك والمبادئ التي حسب الحق، وتُسر كثيرًا بإعلاء الحق.

تأتي كلمة **الحق** في هذا السياق بمعنى السلوك المستقيم أو مبادئ السلوك التي تتوافق مع حق رسالة الإنجيل. لا يتحدث بولس عن «الحق» النظري، بل العملي الذي ينتج عنه حياة بارة مستقيمة. إن الحق والبر متلاصقان غير منفصلان في الإيمان المسيحي. فالمحبة تمدح جميع الفضائل والإحسانات، سواء كان فاعلها مؤمنًا أو غير مؤمن. وتفرح بالشخصية التقية والسلوك البار والاستقامة والنمو في المسيح. «يفرح الإنسان الممتلئ بالمحبة المسيحية بالسلوك الذي يُظهر الإنجيل، يفرح بكل انتصار مُكتسب وبكل مغفرة قُدمت وبكل عمل وداعة».[٦٤]

سيخبرك القادة والمعلمون المحبون للآخرين أن من أعظم مباهجهم رؤية رعيتهم تنمو في الإيمان وفي حياة الطاعة للمسيح. أتذكر في إحدى المرات كنت جالسًا مع مجموعة من أساتذة ومعلمين في كلية مسيحية في إحدى المقاهي مستمعًا لحديثهم. كانوا فرحين بالنمو الحادث في حياة طلابهم أثناء حديثهم عن فوز فريقهم بإحدى المباريات الدولية لكرة القدم. لقد تمثل فرحهم في رؤية طلابهم يعيشون حسب الحق.

لقد فرح أب الابن الضال فرحًا عظيمًا بتوبة ابنه الصادقة وعودته للمنزل (لوقا ١٥: ١١-٣١)، فقد دون لوقا قائلًا:

> وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَآهُ أَبُوهُ ... وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ. ... فَقَالَ الْأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الْأُولَى وَأَلْبِسُوهُ،

[64] Gordon D. Fee, *The First Epistle to the Corinthians,* NICNT (Grand Rapids: Eerdmans, 1987), 639.

وَاجْعَلُوا خَاتَمًا فِي يَدِهِ، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ، وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ. (لوقا ١٥: ٢٠-٢٣)

لكن، لم يفرح الأخ الأكبر للضال بتوبة أخيه وعودته لأنه لم يكن يكنز محبة الله في قلبه. كان ممتلئًا بالبر الذاتي «فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ» إلى حفل عودة أخيه إلى المنزل. لم يكن ليفرح سوى بسماع وقع شر لأخيه أو حتى موته.

فرح قلب بولس الرقيق والحنون بكل مستقيم وصلاح قام به أهل كورنثوس، على الرغم من سقطاتهم العديدة (١ كورنثوس ١: ٤-٨؛ ١١: ٢). فلم يشمت في تأديب الرب لبعضهم على عصيانهم تعاليمه (١ كورنثوس ١١: ٣٠). لم يشعر بالرضا أو التبرير الذاتي جراء معاناتهم. لم يفرح سوى بالتوبة وبالمصالحة وبالشفاء وبالتقوى وبالانتصار على الشيطان. فرؤيته لنمو المؤمنين، على يده، في المحبة والسلوك بقداسة أبهجت قلبه.

كما فرح يوحنا بأخ يُدعى غايُس لسلوكه الحياة المسيحية حسب الحق، في قوله:

لِأَنِّي فَرِحْتُ جِدًّا إِذْ حَضَرَ إِخْوَةٌ وَشَهِدُوا بِالْحَقِّ الَّذِي فِيكَ، كَمَا أَنَّكَ تَسْلُكُ بِالْحَقِّ. لَيْسَ لِي فَرَحٌ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا: أَنْ أَسْمَعَ عَنْ أَوْلَادِي أَنَّهُمْ يَسْلُكُونَ بِالْحَقِّ. أَيُّهَا الْحَبِيبُ، أَنْتَ تَفْعَلُ بِالْأَمَانَةِ كُلَّ مَا تَصْنَعُهُ إِلَى الْإِخْوَةِ وَإِلَى الْغُرَبَاءِ، الَّذِينَ شَهِدُوا بِمَحَبَّتِكَ أَمَامَ الْكَنِيسَةِ. (٣ يوحنا ١: س٣-٦؛ وأيضًا ٢ يوحنا ١: ٤)

كَمِن برهان سلوك غايس بالحق في ضيافته المُحبة التي أظهرها للمسيحيين المُسافرين، فكان معظمهم من الكارزين والمعلمين المتجولين

(٣ يوحنا ١: ٥-٨). فرح يوحنا فرحًا عظيمًا لسماعه أن غايس يتحلى بالوداعة والكرم وبذل الذات.

إن الفرح بالحق، لا بالإثم، هو الحياة حسب «طريق المحبة الأفضل».

الفصل السابع

تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

الْمَحَبَّةُ... تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

١ كورنثوس ١٣: ٧

المحبة مثابِرة. قرأت ذات مرة قصة عن شاب مُتمرس الإجرام يستمر في إثارة المشاكل مع الشرطة بسبب المخدرات والسرقة. وقد قُبض عليه وأُدع في السجن عدة مرات، وفي النهاية أُدع في السجن لبقية حياته. عقب فترة ليست بالطويلة في السجن، نساه أصدقائه، وحتى أبيه قد نسيه. فخارج أسوار سجنه نساه الجميع إلا إنسانة واحدة. ففي كل أسبوع تستقل والدته الحافلة لعدة ساعات لتزوره في محبسه. وعقب ساعات الزيارة القليلة، تعود إلى المنزل مستقلة الحافلة. كانت يوميًا تكتب له رسائلًا وكثيرًا ما كانت ترسل له كتبًا وأغراضًا شخصية كلما سمح ضباط السجن. فلم تمنعها المسافة أو أسوار السجن أو المال أو الوقت من محبة ابنها وزيارته.

يظن البعض أن هؤلاء المُحبين ضعفاء ومنعدمي الشخصية، لكن هذا بعيد كل البعد عن الحقيقة. إن غير المُحبين هم من يتسمون بالضعف لأن رغباتهم التافه المتمركز حول الذات تسيطر عليهم. كان الرب يسوع أعظم من أحب يومًا ولم يكن ضعيفًا. لقد بذل حياته ليخلص آخرين. وإن مثابرة بولس المستمرة مع أهل كورنثوس بعد جميع الكروب التي أنزلوها به، لم تُظهر ضعفًا بل قوة وصبرًا عظيمين.

يختم بولس ويوجز وصفه للمحبة بأربع خواص إيجابية قصيرة تخبرنا بعمل المحبة.[٦٥] الْمَحَبَّةُ تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

الْمَحَبَّةُ تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ

تحتمل المحبة[٦٦] أعباء مشكلات الحياة ومعاناتها. فهي تظل قوية راسخة وثابتة أمام المقاومة والحرمان والعمل المُضنِ. المحبة شُجاعة. فهي تستطيع تحمل أثقال هائلة، فهؤلاء القادة المحبون يمتلكون مقدرة هائلة على تحمل جميع أطياف المعاناة والإحباطات من أجل الآخرين ومن أجل الإنجيل (١ كورنثوس ٩: ١٢). هذه هي إحدى السمات التي يتحلى بها جميع الرعاة الصالحين (تكوين ٣١: ٣٨-٤٠). فهم يثابرون ولا يستسلمون بسهولة أو ينهارون جراء الضغوطات.

---

[٦٥] يتبع الأفعال الأربعة الكلمة اليونانية (*panta*) «كل شيء» وهي المفعول به. ومع ذلك، فإن حالة المفعول به هنا «تقريبًا بمعنى الحال»: «دائمًا» أو «في كل شيء» (BDAG, s.v. pas, ٧٨٣). تفضل الترجمة الإنجليزية NIV وعدد من المفسرين تقديم هذا المعنى. وهذا يتجنب فكرة أن المحبة بسذاجة تصدق «كل شيء» وترجو «كل شيء». من الصعب التيقن من الترجمة.

[٦٦] قد يعني الفعل اليوناني *stegō* إما (١) «ستر»، كما هو الحال في ستر أخطاء الآخرين (NIV: «يحمي») أو (٢) «يتحمل تحت الصعوبة». أي من المعنيين ممكن هنا؛ ومع ذلك، فإن هذا الأخير يتفق مع استخدام بولس (١ أهل كورنثوس ١٢: ١٢؛ ١ تسالونيكي ٣: ١، ٥) وهو المفضل.

الْمَحَبَّةُ تُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ

يتطرق بولس بعد ذلك إلى الإيمان والرجاء لارتباطهما بالتحمل والصبر في كل شيء. يعد الإيمان والرجاء عنصري المحبة اللذين يجعلانها تثابر أثناء الصعوبات وتحتمل أعباء الحياة الثقيلة. فأثناء التعامل بين الأحباء، لا تكون المحبة مُريبة أو تهكمية، بل منفتحة تنهمر بلطف تجاههم. فهي تسعى لرؤية كل إنسان في أفضل شخصية عبر فهم تشابكات الحياة. وتؤمن بإمكانية تغير البشر وتحسنهم. فهي ترى قيمتهم وإمكانياتهم المحتملة والمستقبلية. وكما يقول سكورجي «فهي تدرس الدوافع لتجعل المُمكن متاحًا».[٦٧] إنها لا تخشى أن يظهرها الأخرون إنها على خطأ أو إحراجها.

هذا لا يعني أن المحبة ساذجة أو عمياء، لأن ذلك يجعل الإيمان زائفًا. بالطبع من الواضح، على الرغم من عدم نصّها صراحة، أن المحبة لا تصدق الكذب. لقد أظهرت تعاملات الرب يسوع مع الاثنا عشر، بضعفاتهم وسقطاتهم، محبة مسيحية تصدق وترجو كل شيء.

كما تصدق المحبة اللهَ وكلمتَه مما يُحدث اختلافًا جذريًا في كيفية نظرة المرء وتعامله مع الآخرين والمشكلات العويصة. فالإيمان ينظر إلى الناس والحياة من خلال عدسة مقاصد عناية الله من أجل شعبه. إن الإيمان يتيقن أن «كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ» (رومية ٨: ٢٨). ويصدق أن ما من أمور تقدر أن «تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رومية ٨: ٣٩)؛ وأن «الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلًا صَالِحًا يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ»، وأن كل شيء مُستطاع عند الله.

---

[67] W. Graham Scroggie, *The Love Life: A Study of 1 Corinthians 13* (London: Pickering & Inglis, n.d.), 46.

الْمَحَبَّةُ تَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ

يعد الرجاء المكون الجوهري الآخر للمحبة. كان الوضع داخل كنيسة كورنثوس فوضويًا، لكن بولس لم يفقد رجاءه قط. ولم ييأس. ولم يبتعد عنهم مُحبطًا. بل كتب رسائلًا، وزارهم، وأرسل لهم ممثلين عنه، وصلى من أجلهم. فعلى الرغم من كلماته القاسية، تحلى بثقة أنهم في النهاية سيستجيبون في لياقة.

عبَّر بولس عن ثقته فيهم في قوله «لِي افْتِخَارٌ كَثِيرٌ مِنْ جِهَتِكُمْ. قَدِ امْتَلَأْتُ تَعْزِيَةً وازْدَدْتُ فَرَحًا جِدًّا» (٢ كورنثوس ٧: ٤). «أَنَا أَفْرَحُ إِذًا أَنِّي أَثِقُ بِكُمْ» (٢ كورنثوس ٧: ١٦؛ انظر أيضًا ١: ٧؛ ٢: ٣؛ ٧: ١٤-١٦؛ ١٠: ١٥).

إن هذه الثقة ليست رغبة عاطفية، بل إيمان بانتصار الله النهائي وبمقاصد الله الصالحة لشعبه. مما منحه تفاؤلًا وثقة في المستقبل، على الرغم مع مواجهة الصعوبات والإحباطات المتوالية. إن الرجاء في الرب والثقة في مواعيده الصادقة مكنا بولس من النظر إلى المشكلات والإخفاقات من وجهة نظر موضوعية (غلاطية ٥: ١٠؛ ٢ تسالونيكي ٣: ٤؛ فليمون ١: ٢١).

الْمَحَبَّةُ تَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

تشبه الصفة الأخيرة، الصبر، الصفة الأولى «تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ». إن المحبة قوية ومثابرة «ما من عناء أو جفاء يستطيع أن يُوقف المحبة عن كونها محبة».[٦٨] فالمحبة تظل وتدوم وتبقى أمام المقاومة والجفاء والصعوبات ولا تستسلم أبدًا. لا يمكن إتمام خدمة المسيح وشعبه بدون عمل وبذل الذات. فالمحبة تمنح الإنسان المقدرة على الصبر على كل شيء.

---

[68] C. K. Barrett, *A Commentary on the First Epistle to the Corinthians,* HNTC (New York: Harper & Row, 1968), 305.

توضح حياة موسى، قائد إسرائيل العظيم، أن المحبة تحتمل كل شيء، وتصدق كل شيء، وترجو كل شيء، وتصبر على كل شيء. فعلى مدار أربعين سنة شاقة، قاد شعب إسرائيل عبر صحراء سيناء. ظل الشعب يتذمر مرارًا وتكرارًا على قيادته. واتهموه زورًا بالعنف، وبعدم اللياقة، وأن له دوافع شريرة، وبالكبرياء، وصولًا إلى محاولته لقتلهم هم وأبنائهم. وذات مرة كانوا على استعداد لرجمه حتى الموت. فيما يلي بعض النماذج من اتهاماتهم وتذمراتهم:

- «هَلْ لِأَنَّهُ لَيْسَتْ قُبُورٌ فِي مِصْرَ أَخَذْتَنَا لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا حَتَّى أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ؟ ... كُفَّ عَنَّا فَنَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ». (خروج ١٤: ١١-١٢)
- فَتَذَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ... «فَإِنَّكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هَذَا الْقَفْرِ لِكَيْ تُمِيتَا كُلَّ هَذَا الْجُمْهُورِ بِالْجُوعِ». (خروج ١٦: ٢-٣)
- فَخَاصَمَ الشَّعْبُ مُوسَى ... فَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ قَائِلًا: «مَاذَا أَفْعَلُ بِهَذَا الشَّعْبِ؟ بَعْدَ قَلِيلٍ يَرْجُمُونَنِي». (خروج ١٧: ٢-٤)
- تَصِيرُ نِسَاؤُنَا وَأَطْفَالُنَا غَنِيمَةً. أَلَيْسَ خَيْرًا لَنَا أَنْ نَرْجِعَ إِلَى مِصْرَ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «نُقِيمُ رَئِيسًا وَنَرْجِعُ إِلَى مِصْرَ». (عدد ١٤: ٣-٤)
- وَلِمَاذَا أَصْعَدْتُمَانَا مِنْ مِصْرَ لِتَأْتِيَا بِنَا إِلَى هَذَا الْمَكَانِ الرَّدِيءِ؟ (عدد ٢٠: ٥)

وفي إحدى الوقائع تحدث أخوه وأخته عليه شرًا قائلين «هَلْ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَحْدَهُ؟ أَلَمْ يُكَلِّمْنَا نَحْنُ أَيْضًا؟» (عدد ١٢: ٢). لا بد أن هذا، على وجه التحديد، كان مؤلمًا لموسى ليهاجمه أفراد من أسرته وأقرب الناس إليه. مع ذلك، سامحهم وصلى من أجل البقاء عليهم

عقب قضاء الله عليهم بسبب اتهاماتهم الشريرة.

ومن أسوأ اللحظات في حياة موسى حين اتهمه ٢٥٠ قائدًا بارزًا للشعب بأن قيادته غير صالحة ومُسيطرة قائلين لموسى وهارون:

> كَفَاكُمَا! ... فَمَا بَالُكُمَا تَرْتَفِعَانِ عَلَى جَمَاعَةِ الرَّبِّ؟ ... أَقَلِيلٌ أَنَّكَ أَصْعَدْتَنَا مِنْ أَرْضٍ ... لِتُمِيتَنَا فِي الْبَرِّيَّةِ حَتَّى تَتَرَأَّسَ عَلَيْنَا تَرَؤُّسًا؟ كَذَلِكَ لَمْ تَأْتِ بِنَا إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا. (عدد ١٦: ٣، ١٣-١٤)

رفض الشعب صراحة سلطة موسى ونصبوا قائدًا جديدًا ليقودهم عائدين إلى مصر (نحميا ٩: ١٧). في هذه الواقعة، صلى موسى إلى الله ليعاقبهم على شرهم، فأنزل الله عقابه. كانت عقوبتهم عادلة وتأخرت كثيرًا.

مع ذلك وفي مرات أخرى، صلى موسى إلى الله ألا يهلك الشعب. ففي أربع وقائع مختلفة كاد الله يهلك الشعب برمته بسبب تمردهم المستمر، لكن موسى صلى وتتضرع إليه ألا يفنيهم.[٦٩] ربما لراوَد موسى فكرًا بمئات الأسباب كيلا يصلي من أجلهم، بل لكونه رجل الله استطاع التسامي فوق المشاعر البشرية ليصلي من أجل المغفرة لهم وخلاصهم.

وحدها محبة اللهَ ومحبة الآخرين ما تستطيع شرح تحمُّل موسى وصبره على بني إسرائيل. المحبة تتأنى وتصبر على كل شيء، وتصدق كل شيء، وترجو كل شيء. مرة تلو الأخرى، حين يبدو أن ما من رجاء في الشعب، كان موسى واثقًا وفي رجاء وصابرًا. وفي المقابل يختفي القادة الأنانيون وقت الأزمة. فهم لا يثابرون.

عادة ما تكون الخدمة الأكثر أهمية طويلة الأجل، لكنها لا تنجح

[٦٩] خروج ٣٢: ١٠-١٤؛ عدد ١٤: ١٢-٢٠؛ ١٦: ٢٠-٢٢، ٤١-٥٠

سوى بقوة فوق طبيعة لتحمل جميع صعوبات الحياة وكربها. يخدم بعض المرسلين لعقود في مناطق خطرة حيث المشكلات والانتكاسات لا تنتهي أبدًا. كيف يثابرون؟ تكمن الإجابة في محبة اللهَ ومحبة البشر. فالمحبة تولد الإيمان والرجاء والصبر من أجل المثابرة في مشكلات الحياة المستمرة.

الفصل الثامن

أعظم ما في العالم

تقودنا صفة مقدرة المحبة على الصبر (١ كورنثوس ١٣: ٧) إلى الجزء الأخير من الإصحاح الثالث عشر (الآيات ٩-١٣) الذي فيه يطلق بولس أعمق إعلانين له عن المحبة المسيحية: «اَلْمَحَبَّةُ لَا تَسْقُطُ أَبَدًا» و«أَمَّا الْآنَ فَيَثْبُتُ: الْإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ، هَذِهِ الثَّلَاثَةُ وَلَكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ».

المحبة أبدية

١ كورنثوس ١٣: ٨-١٢

كتب بولس في الآية الثامنة أن «اَلْمَحَبَّةُ لَا تَسْقُطُ أَبَدًا». عمليًا، هذه الآية ليست صفة من صفات المحبة الخمس عشرة في الآيات ٤-٧. تبدأ الآية الثامنة مقطعًا جديدًا يقارن بين الطبيعة المؤقتة للمواهب الروحية والطبيعة الدائمة للمحبة؛ مما يعود ببولس مباشرة إلى قلقه بشأن سوء استخدام المواهب الروحية داخل كنيسة كورنثوس (١ كورنثوس ١٢: ١-١٣: ٣).

ولإظهار، مرة أخرى، أن المحبة هي «الطريق الأفضل»، يخبر بولس قراءه أن المواهب الروحية ستنتهي يومًا ما بغض النظر عن روعتها

وأهميتها التي تظهرها، فيقول: «وَأَمَّا النُّبُوَّاتُ فَسَتُبْطَلُ، وَالأَلْسِنَةُ فَسَتَنْتَهِي، وَالْعِلْمُ فَسَيُبْطَلُ» (١ كورنثوس ١٣: ٨). سيأتي يوم لن نحتاج فيه المواهب الروحية فستنتهي. نحن لن نحتاج المواهب الروحية في السماء؛ فهي للوقت الحاضر فحسب. في المقابل، لن تبطُل المحبة أبدًا، فهي للحاضر وإلى الأبد.

في الفصل الختامي من كتابه **الإحسان وثماره** (*Charity and Its Fruits*)، يصف جوناثان إدواردز السماء «بعالم المحبة المقدسة»[٧٠] و«فردوس المحبة».[٧١] فالسماء ستصبح منزلًا مليئًا إلى الأبد بالمحبة لأنه الله يسكنه ولِأَنَّ «اللهَ مَحَبَّةٌ» (١ يوحنا ٤: ٨).

حين يحب المسيحيون بعضهم بعضًا مثلما أحبنا الرب يسوع، تتهيأ عائلة الكنيسة المحلية للمجد العتيد للحضور السماوي المملوء بالمحبة. للأسف، لم تكن كنيسة كورنثوس تتذوق المحبة السماوية، بل تشوهت بالعداوة، والمنازعات القضائية، والعهارة، وانتهاك الحرية المسيحية، والسلوك بلا ترتيب، والكبرياء، والاستقلالية الأنانية؛ التي برمتها تعد انعكاسًا رديئًا ومرفوضًا لحقائق المحبة السماوية وثمار الروح.

المحبة هي الفضيلة العظمى

١ كورنثوس ١٣: ١٣

ينتهي الإصحاح بالآية الشهيرة «أَمَّا الْآنَ فَيَثْبُتُ: الْإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ، هَذِهِ الثَّلَاثَةُ وَلَكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ» (١ كورنثوس ١٣: ١٣). ليس بالضرورة أن يكون كل مسيحي موهوبًا بالنبوة أو التحدث بالألسنة أو

[70] Jonathan Edwards, *Charity and Its Fruits* (1852; reprint ed., Edinburgh: Banner of Truth, 1978), 325.

[٧١] المصدر السابق، ٣٥١.

المعرفة، لكن ينبغي على كل مسيحي التحلي بالإيمان والرجاء والمحبة. إن مثلث الفضائل هذا أساسي لعيش الحياة المسيحية ولنُضج الكنيسة المحلية (١ تسالونيكي ١: ٢-٣).

لكن وحتى من بين الثلاث فضائل الأساسية، الإيمان والرجاء والمحب، قال بولس: «أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ». لذا سواء نتحدث عن المواهب الروحية أو الفضائل الأساسية، تظل المحبة هي الأعظم. لهذا ينبغي على كل قائد ومعلم مسيحي أن «يتبع المحبة» بفعالية وعن قصد (١ كورنثوس ١٤: ١).

ملخص عن شخصية القائد المُحب وسلوكه

بتطبيق صفات المحبة الخمسة عشر لبولس الرسول، يجب أن نتحلى نحن الذين نقود ونُعلم شعب الله بالتأني والوداعة أولًا، حتى وإن أُسيئ إلينا أثناء خدمتنا. كما ينبغي أن تتسم خدمتنا بهاتين الصفتين عينهما أيضًا.

ليس من المفترض أن نكون قادة متمركزين حول الذات غيورين ممن هم أعظم موهبة أو ذائعي الصيت عنا. كما ليس من المفترض أن نحط من الأخرين أو ننتفخ بإنجازاتنا. والأكثر أهمية، نهرب تمامًا من القباحة وألا نظن أنفسنا أعلى من الآخرين. بل لا بد أن نتحلى بالتواضع والبساطة. ينبغي ألا نكون فظين أو جافين، بل دائمًا متحلين بالحصافة ومُلمين باللباقة الاجتماعية المتعارف عليها. ولا ينبغي علينا نحن تحديدًا أن نكون الساعين لذواتهم الباحثين عن منفعتهم ومكاسبهم أولًا وقبل أي شخص آخر. بل لا بد أن نكون خدامًا يبنون الآخرين. ينبغي ألا نحتد غضبًا أو نتسرع في الانفعال، مما قد يكون مدمرًا نفسيًا لمن هم في القيادة. بل ينبغي أن نكون هادئين وبطيئي الغضب وغير انتقاميين

أبـدًا. ينبغـي ألا نحمـل ضغائـن وأحقـاد، بـل نغفـر ونـرأف. وأخـيرًا، ينبغـي ألا نفـرح بالإثـم بـكل أنماطـه، بـل نفـرح بالحـق.

ولا بـد أن نتذكـر دومًـا أن المحبـة تحتمـل كل شيء وتُصـدق كل شيء وترجـو كل شيء وتصـبر عـلى كل شيء.

دعوة لفحص الذات

أختـم هـذا الكتـاب برجـاء شـخصي مهـم: أرجـو ألا يُسـتخدم هـذا الكتـاب لاتهـام الآخريـن بافتقارهـم للمحبـة. إن بعـض أصـدق المُحبـين الذيـن عرفتهـم يومًـا، اتُهمـوا زورًا بافتقارهـم للمحبـة.

ففـي العهـد القديـم، اتهـم بنـي إسرائيـل مـوسىَ بسـيطرة غـير مُحبـة عـلى الشـعب، عـلى الرغـم مـن إنقـاذه لحياتهـم في مواقـف عديـدة، وبـذل ذاتـه لقيادتهـم عـلى مـدار أربعـين سـنة. الحقيقـة هـي أن بنـي إسرائيـل هـم مـن كانـوا غـير مُحبـين.

في الغالـب إن مـن يتهمـون الآخريـن بافتقارهـم للمحبـة، هـم مـن يفتقرونهـا حقًـا؛ ظانـين أن الوصيـة الجديـدة تقـول «أحبـوني كي لا أدمركـم أنتـم وكنيسـتكم»؛ جالسـين منتظريـن محبـة الآخريـن لهـم.

يسـهل رؤيـة قـذى افتقـار المحبـة في عـين الآخـر عـن رؤيـة خشـبة التمركـز حـول الـذات والنفـاق والغضـب في عينـك (متـى ٧: ٣-٥). **لـذا، اقـرأ هـذا الكتـاب عـلى نفسـك.** اسـع جاهـدًا لتصـير مثـالًا للآخريـن عـن المحبـة حسـب «الطريـق الأفضـل». وحـين تصطـدم بموقـف يتطلـب مواجهة سـلوكًا عدائيًـا، سـتتحلى بالمصداقيـة كـما المهـارة لمواجهتـه «صَادِقِـينَ فِي الْمَحَبَّـةِ» (أفسـس ٢: ١٥).

لنكـن صادقـين، ينبغـي أن نعـترف بإخفاقنـا جميعًـا في المحبـة مـن جانبنـا. لـذا يجـب أن ندين أنفسـنا أولًا. وعقـب اعترافنـا وتوبتنـا بخطايـا عـدم محبتنـا، يمكننـا حينهـا البـدء في مسـاعدة الآخريـن عـلى المحبـة. والوسـيلة الوحيـدة لفعـل ذلـك هـي الصـلاة مـن أجلهـم، فالله وحـده مـن يسـتطيع تغيـير القلـوب.

بالطبـع يرتكـب المحبـون أفعـالًا غـير مُحبـة أحيانًـا. قـد يقعـون في صراعـات مريـرة فيتحولـون عـن شـخصيتهم المعتـادة. كان مارتـن لوثـر، مُصلـح القـرن السـادس عـشر، إنسـانًا بـاذلًا لذاتـه ومُحبًـا، لكنـه أحيانًـا مـا كان حـادًا وقاسـيًا. إن الإنسـان الوحيـد كلي المحبـة الـذي بـارك هـذه الأرض، هـو ربنـا يسـوع المسـيح. يصـارع بقيتنـا كلٌ في حياتـه أن يحـب كـما أحـب هـو، أي الـرب يسـوع، وأن يكتشـف كيـف يحـب في المواقـف الصعبـة.